نهاية غرام

جراهام جرين

** معرفتي **
www.ibtesamh.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات يوليو ٢٠١٧

روايات الهلال

روائع القصص العالمى

www.ibtesamh.com/vb

الوصول إلى الحقيقة يتطلب إزالة العوائق
التي تعترض المعرفة ، ومن أهم هذه العوائق
رواسب الجهل وسيطرة العادة ، والتبجيل المفرط لمفكري الماضي
إن الأفكار الصحيحة يجب أن تثبت بالتجربة

حصريات مجلة الابتسامة

** شهر يوليو 2017 **

www.ibtesamh.com/vb

التعليم ليس استعداداً للحياة ، إنه الحياة ذاتها
جون ديوي
فيلسوف وعالم نفس أمريكي

www.ibtesamh.com/vb

روايات الهلال

REWAYAT AL-HILAL

تصدر عن (دار الهلال) شركة مساهمة مصرية

رئيس التحرير : طاهر الطناحى

العدد ١٠٢ * يونيه ١٩٥٧ * ذوالقعدة ١٣٧٦

No. 102. — June 1957

بيانات ادارية

ثمن العدد فى مصر والسودان ٧٠ مليما — فى الأقطار العربية عن الكميات المرسلة بالطائرة : فى سوريا ٩٠ قرشا سوريا — فى لبنان ٩٠ قرشا لبنانيا — فى الأردن ٩٠ فلسا — فى العراق ٩٠ فلسا

الاشتراك السنوى (١٢ عددا) — مصر والسودان ٨٥ قرشا صاغا — سوريا ولبنان (بالطائرة) ١٠٧٥ قرشا سوريا لبنانيا — (بالبريد البحرى) — السعودية والعراق والاردن وليبيا ١١٠ قروش صاغ — الاميركتين ٥ دولارات — سائر أنحاء العالم ١٥٠ قرشا صاغا

طريقة الدفع

فى مصر والسودان : بموجب أذونات أو حوالات بريدية أو شيكات — **فى الخارج :** بموجب حوالة نقديه (Money Order) أو حوالة مصرفية (شيك) على أحد بنوك القاهرة — وقيمة الاشتراك ترسل مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال داخل خطاب مسجل أو الى أحد وكلائنا — ولا يمكن قبول أذونات البريد أو أوراق البنكنوت

الادارة : دارالهلال١٦ شارع محمد عز العرب بك — القاهرة

المكاتبات : روايات الهلال — بوستة مصر العمومية — مصر

التليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاعلانات : يخاطب بشانها قسم الاعلانات بدار الهلال

www.ibtesamh.com/vb

روايات الهلال

مجلة شهرية لنشر القصص العالمى

www.ibtesamh.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamh.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر يوليو ٢٠١٧

نهاية غرام

مجلة الابتسامة

تأليف

الروائي الأشهر

جراهام جرين

دار الهلال

www.ibtesamh.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamh.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر يوليو ٢٠١٧

مؤلف الروايه

كثيرون جدا من نقاد الفن الروائى يعتبرون جراهام جرين ابرع روائى بين ابناء زمنه ، دون شهرته على الخصوص اثناء الحرب العالمية الثانية ، ولكن سبقت تلك الحرب اعمال قصصية من انواع شتى كلها روائع فى الفن الواقعى ، وفى صدق التصوير ، من غير افتعال ، او اثارة او تزويق ، فكأن رواياته حجرة تشريح فنية ادبية للعواطف البشرية فى عنفوان قوتها ، وشدة تعقدها ، وتعارضها ...

وهو فى جميع رواياته امين لروح عصرنا الحاضر ، صادق ودقيق فى تصوير ابناء القرن العشرين على حقيقتهم العارية ، باهتزازات اعصابهم ، وضعف عقائدهم ، وانانيتهم ، وخواء نفوسهم من القيم الاجتماعية والاخلاقية ، ومن السعادة . يعيشون بلاهدف، ولايجدون طعما لشىء ، على كثرة ما يزاولونه من النشاط والملذات

وكانت بداية تلك الاعمال المجيدة ، مجموعة قصص قصار اسمها « حجرة البدروم » ، وهو عنوان اطول تلك القصص ، وقد اعتبرت هذه المجموعة عند ظهورها فى عام ١٩٣٦ ، نموذجا للعمل القصصى العصرى الكامل ...

ثم تهافتت عليه شركات السينما ، لصدق فهمه الواقعى لروح العصر الحاضر ، فكان يصر ان يتم نشر الرواية اولا على النمط الادبى المقروء ، ثم يقتبسها بعد ذلك بنفسه او بواسطة غيره للشاشة ...

ولن ينسى تاريخ السينما روايته الفذة « الرجل الثالث » ، التى سنقدمها للقراء عما قريب ، وهى تعتبر حدثا فى الشاشة الفضية ، من حيث الحبكة القصصية ، وواقعية الفن ، والحوادث والتحليل ...

ولا تخلو بعض رواياته من معالجة عنصر الجريمة فى براعة فائقة ، ولكن آخر رواياته الرائعة ، واعظمها تحريكا لنفس انسان ما بعد الحرب ، هى بلا شك هذه الرواية « نهاية غرام »

www.ibtesamh.com/vb

أهم شخصيات الرواية

هنرى مايلز «Henry Miles» : موظف مدنى كبير فى الحكومة الانجليزية . متحفظ ، تقليدى ، خجول ، محدود الذكاء ، ضعيف الحيلة

سارة «Sarah» : زوجة هنرى . امراة رقيقة القلب . فاتنة . قضت مع زوجها عشر سنوات

موريس بندركس «Maurice Bendrix» : مؤلف روائى تروى هذه القصة على لسانه ، باعتبارها تجربة شخصية له . متغضن الوجه . مهيض الساق

باركيس «Parkis» : رجل متوسط العمر . أرمل . مخبر خصوصى فيه رقة حاشية ، وعطف انسانى

سافيدج «Savage» : مدير المكتب الخصوصى للتحريات

لانس «Lance» : غلام فى الثانية عشرة . ابن باركيس . ذكى وجميل

ريتشارد سمايز «Richard Smythe» : رجل مشوه أحد الخدين بوحمة ولد بها على شكل ثمرة فراولة ضخمة خشنة . متمرد على الدين يبشر بالكفر بالله

سير مالوك «Mallock» : من كبار رجال الدولة فى شؤون الاقتصاد والتأمينات الاجتماعية . مسن

دانستان «Dunstan» : مدير المصلحة التى يعمل بها هنرى مايلز

www.ibtesamh.com/vb

ووتربيوري - Waterbury -: ناقد أدبي خامل . شاذ ، مغرور ، غريب المظهر

سيلفيا - Sylvia -: فتاة جميلة استهواها الادب ، تعيش على الطريقة البوهيمية جاهلة ، ولكنها رقيقة القلب جدا -

الاب كرومتون - Father Crompton - : قسيس كاثوليكى ، قصير الساقين ، جامد الوجه

مسز برترام - Mrs. Bertram - : امراة بيضاء الشعر قوية البنية ، والدة سارة

www.ibtesamh.com/vb

الفصل الأول

كنت أكرهه

ليس للقصة بداية ولا منتهى ، ولكننا نختار لحظة من تلك التجربة المتصلة المتماسكة ، لنقف عندها ، فننظر منها الى ما مضى قبلها او الى ما سيكون من بعدها

ولكن هل بمحض ارادتى اخترت تلك الليلة الحالكة المطيرة من عام ١٩٤٦ ، التى تراءى لى فيها هنرى مايلز يخترق الطريق تحت وابل المطر ووسط نهر من مائه المتدفق ؟

ربما كانت قواعد صناعتى الادبية تلزمنى ان اختار تلك الليلة لانها انسب الاوقات كى ابدأ منها القصة . ولكن ان كنت اومن بوجود الله لوجب على ان اعتقد بتدخله فى تلك الليلة ، يدفع مرفقى ويوحى الى ان اتحدث الى هنرى مايلز ، والا فلماذا كنت احدثه فى ذلك الحين ؟ ولولا ان الكراهية لفظ اضخم بكثير من ان نستعمله فى علاقات انسانية ، لقلت انى اكره هنرى ، واكره زوجته سارة ايضا ، واحسبه بعد حوادث ذلك المساء بات يكرهنى ايضا كما يكره — ولا شك — زوجته ، وذلك الآخر ، الذى لم تكن فى تلك الايام نصدق بوجوده لحسن الحظ

اذن هذا سجل للكراهية اكثر منه سجلا للحب ، فاذا ورد على طرف قلمى شىء من الثناء او الدفاع عن هنرى وسارة ، فهو صحيح جدير ان يوثق به ، وانه لمن كبرياء مهنتى ان اكتب بنزاهة قصد ولو ضد عواطفى الشخصية

▭

كان من الغريب ان ارى هنرى فى العراء فى ليلة كهذه الليلة ، فهو

www.ibtesamh.com/vb

شخص حريص على رفاهية نفسه ، ثم لديه سارة ، او هذا ماكنت اعتقده ، اما انا فالراحة عندى شيء غير مستساغ ، لان الانسان المتوحد يؤثر عدم الراحة دائما ، وكنت اضيق بما يتفق لى من الراحة فى حجرتى الوحيدة التى تجمع بين اغراض النوم والجلوس فى الطرف الجنوبى الوضيع من البلدة ، مع ان الاثاث كان حطاما من بقايا استعمالات الناس

لهذا خطر لى فى تلك الليلة ان اخرج لنزهة على الاقدام تحت المطر المنهمر ، وفى نيتى أن اتناول قدحا من الشراب فى حانة الحى ، ووجدت البهو الصغير مكتظا بالغرباء فى قبعاتهم ومعاطفهم ، فتناولت مظلة احدهم ثم اغلقت الباب الزجاجى ورائى ، وانطلقت بحذر اهبط درجات السلالم التى نسفتها قنابل الغارات الجوية اثناء الحرب ، ثم لم تدركها يد الاصلاح بعد ذلك

ولما بدات اعبر الطريق ، تبين لى انى أسأت اختيار المظلة ، لانها كانت مثقوبة ، فأخذ المطر يتسرب تحت ياقة معطفى المانع للمطر ، وفى تلك اللحظة رأيت هنرى مايلز

وكان فى وسعى ان اتجنبه بسهولة ، وكان لايحمل مظلة ، وفى ضوء المصباح رأيت عينيه وقد اعماهما المطر ، فكان لايمكن ان يرانى . والاشجار الجرداء كانت لا تفى بوقاية من تحتها بل كانت اشبه بالميازيب ، فكان المطر يقطر من قبعته الداكنة ، وينهمر كالجداول على سترته السوداء ، فلو مررت بجواره لما استطاع ان يعرفنى ؛ وكان ممكنا ان ازيد الامر احتياطا بالابتعاد عنه بمقدار خطوتين ، ولكنى صحت به من غير تفكير :

ـ يا هنرى ، انك تكاد تبدو غريبا

فرأيت فى عينيه الضياء كأننا اصدقاء قدامى ، ثم قال بلهجة الود :

ـ بندركس !

ـ ما الذى اخرجك يا هنرى تحت المطر ؟

ـ كنت بحاجة الى استنشاق شيء من الهواء

وهبت الريح فجأة ولولا انه وضع يده على قبعته فى اللحظة الاخيرة لاطارتها الى الجهة الشمالية ، وسألته كيف صحة سارة ، مع انه ما كان شيء ليسرنى اكثر من ان اسمع انها مريضة ، او شقية ،

www.ibtesamh.com/vb

او تحتضر ! وكنت اتصور فى تلك الايام ، ان اى عذاب تصطليه ، سيخفف عنى وطأة عذابى ، وانها ان ماتت فسوف يكون فى موتها تحرير رقبتى من نير العذاب ، بل لعلنى كنت حريا ان احب هنرى المسكين الابله ، لو انه بشرنى بموت سارة ! واذا به يقول :

ـ لقد خرجت للسهر فى موضع ما

فردتنى هذه العبارة الى ذكرى ايام خلت ، كان هنرى يجيب هذه الاجابة ردا على اى سؤال عنها ، مع اننى كنت وحدى اعلم اين هى ، فسألته :

ـ هل لك فى كأس من الشراب ؟

وكم كانت دهشتى حين وجدته يجاذبنى ويسير معى ، فانه لم يسبق لنا ان شربنا معا من قبلُ خارج بيته ، وقال لى :

ـ مضى زمن طويل لم نرك يا بندركس ؟

ـ اجل زمن طويل

ـ منذ اكثر من سنة ؟

ـ منذ يونية عام ١٩٤٤

ـ هكذا ؟

وعجبت ، ماذا يرى هذا الابله من الغرابة فى غيبتى عاما ونصف العام ، ثم ألم يخطر له ، والذى يفصلُ ما بيننا خمسمائة خطوة ، ان يقول لسارة :

ـ ترى كيف حال بندركس ؟ لماذا لا ندعوه لزيارتنا ؟

وهل لم يجد فى اجاباتها غرابة ؟ فانى اختفيت عن انظارهما كما يغوص حجر فى الماء ، وأظن الفقاقيع التى تخلفت عن هذا الغوص ربما اقضت مضجع سارة اسبوعا او شهرا ، والحقيقة انى طالما كرهت غفلته ، وقد سألته :

ـ اهى فى السينما ؟

ـ كلا ، انها قلما تذهب اليها

ـ كانت كثيرا ما تذهب

ودخلنا الحانة ، وكانت صاحبتها متكئة بصدرها على البار ، وهى ترمقُ الزبائن بنظرة ازدراء ، وقالت لهنرى :

ـ ماذا تشرب ؟

www.ibtesamh.com/vb

ـ لا مانع عندى فى الويسكى
ـ ولا انا ، ولـكن عليك الليلة ان تقنع بالروم
وجلسنا الى منضدة ، وتناولنا كأسينا ، ولم يسبق لى ابدا ان اشتجرت فى حديث طويل مع هنرى ، ولا اظننى كنت اهتم بمعرفة هنرى او سارة جيدا ، لو لم ابدأ عام ١٩٣٩ فى كتابة قصة بطلها الاول موظف مدنى من رؤساء الاقلام
وفى اول ليلة صحبت سارة للعشاء خارج الدار راودتنى نفسى ، ان اعرف التفاصيل الداخلية لمخ زوجة رئيس قلم انجليزى
ولم تكن تدرى ما الذى يدور فى راسى ، وخطر لها اننى مشغوف بمعرفة حياتها العائلية واسرارها الزوجية ، فسرها ذلك ، وفتحت قلبها لى ، وجعلت تجيب على اسئلتى المتلاحقة عن عادات زوجها ، وعن اسلوبه فى المعيشة داخل البيت وحين يخلو له وجه زوجته
وازدهرت صداقتنا تحت هذا التأثير، واكتشفت ان هنرى شخص مهم ، مهم كالفيل ، لضخامة القلم الذى يشغله فى الحكومة ، وهو نوع من الضخامة مكتوب عليه الا يثير اهتمام الناس او يوحى اليهم بالجدية ، فهو المدير المساعد لاحدى ادارات وزارة المعاشات
وذات يوم صارحت سارة ان اهتمامى بهنرى ليس لشخصه بل لاتخذه نموذجا لشخصية قصة اكتبها ، وهى شخصية مضحكة لا تخلو من بلاهة ، وكانت سارة تشعر بولاء شديد له ، فأدركت ان الذى عرفته عنه قد يركبنى الشيطان فأجعل منه اضحوكة لا نظير لها امام القراء
وذات ليلة جاءتنى سارة ، وكنت اتطلع الى ذلك كختام لمعرفتنا ، كتطلع الكاتب الى وضع كلمة الختام فى نهاية كتابه وغيرها
ـ ثم قلت لها :
ـ خبرينى هل يمضغ هنرى الحبهان او القرنفل لتعطير انفاسه قبل الاجتماعات الهامة ؟
فهزت راسها واخذت تبكى فى صمت ، وتظاهرت بأن السؤال ليس طعنا فى هنرى وانما هو استكمال لوصف شخصية الرواية ، واتبعت السؤال بسؤال آخر من نوعه ، فلبثت تبكى برهة ثم سكتت فاعتبرت ذلك منها اهانة

▭

واحتسى هنرى كأس الروم بسرعة ، وعيناه تجولان بين الناس ،

www.ibtesamh.com/vb

وكانت الحانة مزينة ببقايا زينة عيد الميلاد ، فسألته :

ـ هل قضيت عيد ميلاد سعيدا ؟

ـ سعيدا جدا ... سعيدا للغاية

ـ فى البيت ؟

ـ نعم طبعا

ـ وهل سارة بخير ؟

ـ نعم ...

ـ اتريد كأسا آخر ؟

ـ هذا دورى

وبينما كان هنرى يحضر الكأسين ، ذهبت الى التليفون لحظة وعدت ، فوجدته شارد الذهن ، فقلت له :

ـ ماذا بك ؟ .. هل انت تعس ؟

ـ بل قلق يا بندركس

ـ قل لى ما المسألة ؟

واظن ان الروم هو الذى اطلق لسانه ، او لعله كان يدرى الى حد ما ، الى اى مدى اعلم ظروفه ؛ لقد كانت سارة تحافظ على الظواهر فى علاقتنا ، ومع هذا فلا بد انه لاحظ امرا او امرين ، ومع انها كانت لا تغتابه معى ، الا اننى عرفت الكثير عنه مصادفة ، فهو مثلا له خال على فخذه الايمن ، وكنت اعلم انه يعانى قصر النظر ، ولكنه يرفض ان يلبس النظارة امام الغرباء ، وكنت اعرف ايضا بعض عاداته للمقارنات التى كانت سارة تعقدها بيننا ، فهل كان يدرى اننى اعرف هذا كله ؟

ـ انى قلق على سارة يا بندركس

ـ هل هى مريضة ؟ سمعتك تقول انها خرجت

ـ كلا ، انها ليست مريضة ، لا اظن ذلك

ثم نظر فيما حوله بتعاسة ، فهذا الوسط السوقى ليس وسطه الطبيعى ولاحظت ان بياض عينيه احمر بلون الدم ، ولعل هذا من عناده بعدم لبس النظارة لكثرة زواره الغرباء ، واما ان يكون هذا من اثر البكاء

ـ لا استطيع ان اتكلم فى هذا المكان يا بندركس ، تعال معى الى البيت لنتكلم هناك

www.ibtesamh.com/vb

ـ وهل ستكون سارة قد عادت الى البيت ؟

ـ لا اتوقع هذا

فدفعت ثمن الشراب ، وكانت هذه مناسبة لاستعراض خصلة اخرى مما اعرفه عن هنرى ، فهو لايقبل ضيافة الناس بسهولة ، بل هو الذى يكون السابق دائما الى النقود ، فاذا ركبت معه سيارة اجرة ، أعدها سلفا فى راحة يده ، فى الوقت الذى تتعثر أصابعك فيه بين زوايا جيوبك

** معرفتي **
www.ibtesamh.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر يوليو ٢٠١٧

www.ibtesamh.com/vb

الفصل الثانى

الشكوى

كانت ممرات الحديقة تتدفق بماء المطر ، غير أن المسافة إلى بيت هنرى لم تكن بعيدة ، وفتح الباب بمفتاحه ، ثم صاح مناديا :

ـ سارة .. سارة

وكنت متلهفا على الجواب ، مشفقا من الجواب فى آن واحد ، ولكن سارة لم تجب ، فقال هنرى :

ـ إنها لم تزل فى الخارج ، هيا بنا إلى المكتب ...

ولم أكن رأيت مكتبه فى البيت من قبل ، فانى كنت دائما صديق سارة . ولما كنت التقى بهنرى كان ذلك دائما فى اماكن سارة . اى فى حجرة جلوسها التى لا يلتئم فيها الذوق فى أثاث أو لون . فهى فوضى من أنواع الاثاث . وشتات من الالوان .. وكل شىء يبدو عليه البلى من الاستعمال . أما فى مكتب هنرى فشعرت على الفور انه ما من شىء فيه قد استعمل الا استعمالا يسيرا . وحتى مجموعة مؤلفات جيبون عن قيام الدولة الرومانية وسقوطها يخيل الى انها لم تفتح . وأما مجموعة مؤلفات السير ولتر سكوت فاحسبها غير موجودة لديه الا لانها ربما انحدرت اليه فى تركة أبيه . ومع هذا كان سعيدا فى حجرته البسيطة التى لا تحمل آثار الاستعمال لانها ملكه خالصة له ..

وخطر ببالى فى شىء من المرارة والحسد انه حينما يمتلك المرء شيئا ثمينا امتلاكا مأمونا مضمونا لا تكون به حاجة الى استعماله ابدا

وسألنى هنرى :

ـ الك فى قدح من الويسكى ؟

فتذكرت عينيه وتساءلت فى نفسى هل تراه يفرط الآن فى الشراب

www.ibtesamh.com/vb

اكثر مما كان يفعل فى الزمن السابق . فالاقداح التى صبها من الويسكى كانت أكثر من مزدوجة ، ولهذا سألته :

ـ ما الذى يقلق بالك يا هنرى ؟ ونظر نحوى بعينين محمرتين ، ثم استطرد :

ـ سارة .. سارة .. يابندركس

وشعرت اننى لم استطع ان انظر اليه من فوق ، فهو انسان تم له التخرج فى جامعة الشقاء . انه زميل فى الدراسة بهذا التخرج ، وللمرة الاولى بدأت أفكر فيه كند لى ...

وكان على المكتب رسم فوتوغرافى يمثل اباه . فلما نظرت الى الرسم رأيت على الفور وجه الشبه . وكلاهما فى الخامسة والاربعين تقريبا . وكذلك رأيت على الفور وجه الخلاف . وليس الشارب هو الذى يفرق بينهما هذا التفريق . بل ما فى رسم الوالد من نظرة الثقة بالنفس التى يعرفها أبناء العصر الفيكتورى الذين لم يستوحشوا فى الدنيا وكانوا على بينة من طريقهم فيها . وعلى الفور شعرت بمزيد من الزمالة لهنرى . وأحببته أكثر مما كنت حبا حريا أن أحب مثله اباه لو التقيت به . فكلانا ، أنا وهنرى ، يحس الغربة والوحشة فى هذا العالم ، وقلت له :

ـ ما الذى يخيفك يا هنرى ؟

فجلس فى مقعد مريح ، كأنما دفعه انسان فوقع فيه ، وقال بتقزز :

ـ يابندركس ، كنت دائما اظن أن اسوأ شىء اطلاقا يمكن لرجل ان يقدم عليه ...

ـ فى وسعك ان تثق بى ياهنرى ..

وتذكرت انها احتفظت بخطاب لى مع اننى قلما كتبت لها . وذلك خطر يتعرض له الكتاب . اذ تظن النساء ان لكل ما يسطرونه اهمية كبرى ، ولا يقدرون خطورة اليوم الذى يظهر فيه خطاب من ذلك النوع فى مجموعة فاضحة مصورا ليراه الفضوليون فى ترجمة حياته الخاصة بعد موته

ورأيت هنرى يمد الى يده بخطاب ، وهو يقول :

www.ibtesamh.com/vb

ـ اذن خذ هذا وانظر فيه

ولم يكن الخطاب بخطى ، بل كان من صديق لهنرى يقول :

ـ ان الرجل الذى تريد مساعدته يستطيع أن يتصل بشخص اسمه سافيدج رقم ١٥٩ شارع فيجو . وقد وجدته قديرا وكتوما ورجاله أقل غثاثة من المعهود فى مهنتهم

ـ لم أفهم شيئا ياهنرى

ـ كنت كتبت لهذا الرجل أقول له ان أحد معارفى سألنى أن ادله على مخبر خصوصى موثوق به . أن الامر فظيع يابندركس . لابد انه فهم المقصود

ـ أتعنى حقا انك ؟...

ـ لم أفعل شيئا بهذا الخصوص . ولكن الخطاب فوق مكتبى يذكرنى بالفكرة . وهى تبدو سخيفة . واسخف من ذلك اننى أثق بكونها لا تفتحه مع انها تحضر الى هنا جملة مرات كل يوم . بل لم أحاول أن أضعه فى درج . ومع ذلك لا أثق انها ... فى الخارج الآن لمجرد النزهة . للنزهة يابندركس !

ومد كميه اللذين يقطران ماء نحو نار المدفأة

ـ انى آسف

ـ لقد كنت دائما صديقا خاصا لها يابندركس . والناس يقولون ان الزوج آخر من يعلم حقيقة معدن امرأته . وخطر لى الليلة حين رأيتك فى الحديقة أننى ان أخبرتك ضحكت ساخرا منى لعدم الثقة بزوجتى ، كنت حريا أن أحرق الخطاب

وكان مشيحا بوجهه وهو يتكلم ، ولم اشعر فى حياتى بميل للضحك أقل مما شعرت حينئذ . ومع هذا كنت اتمنى لو ضحكت ان استطعت فقلت له :

ـ ليس هذا من المواقف التى يضحك منها المرء . حتى ولو كانت خرافية !

فسألنى فى تلهف :

ـ أخرافى هو ؟ أتظن اننى احمق ابله ؟

وشعرت بعقارب الغيرة القديمة تتحرك فى صدرى فهل الزوج والزوجة جسد واحد لدرجة أن من يكره الزوجة يتحتم عليه كذلك

www.ibtesamh.com/vb

أن يكره الزوج أيضا ؟ وذكرنى سؤاله بمبلغ سهولة استغفاله ، وسمعته يقول وهو مشيح :

ـ أنا طبعا مقدر انك تظننى ابله

فنطق الشيطان على لسانى :

ـ كلا لا أظنك أبله يا هنرى

ـ أتعنى أنك تظن حقا أن هذا .. ممكن ؟

ـ طبعا ممكن . ان سارة بشر

فصاح باستنكار ، وكأننى انا الذى كتبت الخطاب :

ـ كنت أظنك دائما صديقا لسارة !

ـ طبعا . انت تعرفها اكثر مما عرفتها أنا بكثير

ـ من بعض الوجوه ...

ولعله كان يفكر فى الوجوه التى كنت أعرفها أنا منها خيرا منه

ـ انك سألتنى ياهنرى ان كنت اظنك ابله . وانا اجبتك ان الفكرة فى حد ذاتها لا بلاهة فيها ، ولم أقل شيئا ضد سارة

ـ أعلم هذا يابندركس . وأنا آسف . فانى لم أنم جيدا فى المدة الاخيرة . وكنت استيقظ فى الليل وأفكر فيما يجب أن افعله بهذا الخطاب اللعين ..

ـ احرقه ...

ـ ليتنى أستطيع

ـ أو اذهب وقابل مستر سافيدج

ـ لايمكننى أن ازعم له اننى لست زوجها ، ولكن تصور يابندركس اننى أجلس أمام مكتب الرجل فى مقعد سبقنى الى الجلوس فيه سائر الازواج الغيورين ، لاخبره بالقصة نفسها ؟ وهل تظن أن لديه حجرة انتظار بحيث نستطيع أن يتبين بعضنا وجوه بعض ، ونحن داخلين وخارجين ؟

وعجبت لانى لم اكن أظن هنرى من اصحاب الخيال ، وقلت له :

ـ ولماذا لا أذهب أنا بدلا منك ياهنرى ؟ وفى استطاعتى أن ازعم للرجل اننى حبيب شديد الغيرة ، والعشاق الغيورون اكثر احتراما وأقل سخافة وهزءا من الازواج الغيورين . انهم يذكرون بالمأساة لا بالكوميديا : فلن تجرح هذه المقابلة كبريائى

www.ibtesamh.com/vb

ـ أتقبل حقا أن تقوم بهذه المهمة لى يابندركس ؟

واقسم أن الدموع كانت تجول فى عينيه ، كأنه لم يكن يتوقع ابدا مثل تلك الآية من آيات الصداقة

ـ طبعا ياهنرى ، واحذر ، فان كمك يوشك أن يحترق

فتطلع الى كمه كأنه كم انسان سواه وقال :

ـ هذا عجيب ، أنا لا ادرى فيما كنت افكر . ان الانسان لا يمكن فى العادة ان يتجسس على زوجته عن طريق صديق ، ويزعم هذا الصديق انه عشيقها . من يصدق أننى كنت أقدم على ذلك ؟

ـ ولكنه زعم لم يحدث . الا انه ممكن ومألوف فى حياتنا العصرية . كل شى الآن أصبح مألوفا فى الحياة اليومية

ـ انك فتى كريم يابندركس ، وكل ما كنت بحاجة اليه هو المحادثة الودية كى يصفو دماغى ، والآن سأحرق الخطاب

واحرق الخطاب فى شعلة المدفأة ، فلما فرغ قلت له :

ـ اسم الرجل سافيدج . فى شارع فيجو

ـ انسه ، انس ما قلته لك ، لا معنى له . لقد انتابنى الصداع كثيرا فى المدة الاخيرة وسأستشير طبيبا . ماهذا ؟

ـ الباب ، عادت سارة ياهنرى

ـ بل الخادمة ، كانت فى السينما

ـ كلا ، هى خطوة سارة

فتوجه الى باب المكتب وفتحه ، وبصورة آلية ظهرت على وجهه العلائم المضحكة للرقة والاعزاز . وتذكرت ان سارة قالت لى انهما لم يتحابا فى يوم من الايام . وسمعته يناديها بحنان مموه لايحتمل :

ـ سا ... راه ...

وكيف يمكننى أن أبلغ الغاية فى تصويرها ، وهى تقف فى الردهة عند أسفل السلم وتلتفت الى ناحيتنا ؟

اننى لم أوفق ابدا حتى فى وصف شخصياتى الخيالية الا خلال أعمالهم . أما الآن فانى أريد القارىء أن يرى سارة بالذات ، لاصورة اية امرأة اخرى فى مخيلته . ولكن ماحيلتى ؟ وكيف اجعله يرى ذلك الجبين العريض ، والفم الجرىء ، والرأس المرتفع ، وكل ذلك فى معطف واق يتصبب ماء ، وهى تقول :

ـ نعم يا هنرى ..؟

... ثم ...

www.ibtesamh.com/vb

ـ اهو انت ؟

وكانت تنادينى دائما هكذا حين تخاطبنى بالتليفون . حتى خيل لى ، لصغر عقلى ، فى وقت من الاوقات انه ليس فى العالم الا « انت » واحد فقط . . . وانه أنا ! وقلت لها فى لحظة كراهية :

ـ يسرنى ان اراك . هل كنت فى نزهة ؟

ـ نعم . . .

فقلت كأننى اتهمها :

ـ انها ليلة فظيعة !. .

وأضاف هنرى فى قلق ظاهر :

ـ انك شديدة البلل يا سارة ، واحسبك ستموتين ذات يوم من اثر تعرضك للبرد هكذا

وهى صيغة من صيغ التعبير يتبادلها العامة . ولـكنها فى هذا الحديث وقعت كنغمة النذير أو طالع الشؤم لمـا اثارته عندى من سوء الظن والكراهية

www.ibtesamh.com/vb

الفصل الثالث

الرقيب

ليس فى استطاعتى أن أحدد كم يوما مرت ، حين عاد الى القلق. هل كنا فى اليوم السابع ، أو فى اليوم العشرين ، حين قررت أن أخطو خطوة عملية ؟ ان ذاكرتى لا يمكن أن تحدد ذلك بالدقة بعد مرور ثلاث سنوات قضيتها على حافة الحديقة أتطلع من بعيد الى بيتها عسى أن يفتح الباب وتبرز منه سارة بخطواتها المنتظمة . ولكن ذلك لم يحدث قط . بل ولم أستطع أن أرى هنرى وهو يعبر الحديقة عائدا بعد الغسق . ولعله كان يشعر بالخجل مما صارحنى به لانه كان شديد التمسك بالتقاليد . وان كنت فى أعماقى أشعر بالاعجاب نحو المتمسكين بالتقاليد . فانهم يبدون لى كما تبدو القرى للمسافر على الطريق الخلوى . يشعر انها راسخة مطمئنة تكفل الامن لساكنيها

وأعترف أننى حلمت كثيرا بسارة فى تلك الايام المعتمة القلقة التى لم أعد أذكر اليوم عددها ، فكنت أستيقظ أحيانا وأنا أحس الالم وأحيانا أخرى وأنا أشعر باللذة . فان المرأة حين تشغل بال انسان طول النهار لا ينبغى أن تكون موضوعا لأحلامه بالليل لانها ستكون أحلاما مزعجة لاعصابه

وحاولت أن أكتب صفحات فى كتاب كنت بصدد تأليفه ، ولكن الكلمات أبت أن تخرج . اجل كنت أحتم على نفسى أن أكتب الخمسمائة كلمة التى تعودت أن أكتبها كل يوم ، بيد أن الحروف أبت أن تدب فيها الحياة . واكتشفت أن الكثير من قيمة الكتابة يتوقف على مقدار سطحيتنا الوجدانية فى الايام التى نمارس فيها الكتابة . ولا بأس من الانشغال بزيارة أو شراء أو بيع ما دام تيار

www.ibtesamh.com/vb

اللاشعور يمضى فى طريقه من غير اضطراب . أما تلك اللعبة العنيفة لعبة الحب والكراهية والشك والرغبة فى الفتك والتدمير ، فكانت أقوى وأعمق من الكتاب وموضوعه . فكان اللاشعور منشغلا بها دون الكتاب . الى أن استيقظت ذات صباح وأنا أعلم كأننى فكرت فى ذلك طول الليلة السابقة أننى فى ذلك اليوم سأقوم بزيارة مستر سافيدج

وانى لأعجب لقدرة الانسان على الثقة المطلقة ببعض المهن ، بصرف النظر عن أصحابها . فنحن نثق بالمحامى وبالطبيب . واظن الكاثوليك يثقون بالقسيس . وأنا شخصيا اضفت الى هذه القائمة المخبر السرى الخاص

ولم أجد هنرى محقا فى توجسه من فضول الزبائن الآخرين . اذ كان للمكتب حجرتان للانتظار . دخلت احداهما وبقيت فيها وحدى . والمكتب نفسه شبيه فى جوه بمكاتب المحامين . لولا أن حجرة الانتظار اشبه بحجرات انتظار أطباء الاسنان ، لكثرة ما فيها من المجلات ومواد المطالعة . ولا سيما المجلات النسائية . أما الكاتب أو الحاجب الذى أدخلنى فكان بادى الذكاء حسن الهندام . قرب الى مقعدا من المدفأة ثم انسحب وأغلق الباب بعناية فائقة فشعرت كأنى مريض . والواقع أننى كنت مريضا الى درجة الاقدام على تجربة العلاج بالصدمة ، للتخلص من أوجاع الغيرة

وأول شىء لفت نظرى فى مستر سافيدج ، أن وجهه محلوق حلاقة جيدة ، وأن جبينه العريض فيه لمعان الذكاء وتوقد الفطنة والرغبة فى اسداء الخدمات . ولما صافحنى ضغط على يدى واصابعى ضغطة غريبة . واظنه من أعضاء الماسونية . فلو كان أمكننى أن أرد على اشارته الرمزية ردها الصحيح ، لكنت أغلب الظن ظفرت بتخفيض خاص

ـ مستر بندركس ؟ تفضل بالجلوس . اظن هذا اكثر المقاعد راحة

ووقف بجانبى الى أن جلست ثم جذب مقعدا صغيرا وجلس بالقرب منى كأنه يزمع أن يصغى الى نبضى ، ثم قال لى :

ـ والآن خبرنى بكل شىء على سجيتك

فشعرت بالضيق والمرارة ، فانى لم اذهب اليه بحثا عن العطف،

www.ibtesamh.com/vb

بل لأدفع فى حدود طاقتى المالية ، ما أحصل به على شىء من العون العملى فى مهنتى

ـ لا أدرى ما هى أتعابكم عن عمليات المراقبة

ـ لا تزعج نفسك بهذا سلفا يا مستر بندركس . فانى أتقاضى ثلاثة جنيهات عن هذه الاستشارة المبدئية . ولكن على اثر الاستشارة ان لم تشأ أن تكلفنا بالمهمة . فانى فى هـــذه الحالة أرد اليك مبلغ الاستشارة ولا أتقاضى شيئا على الاطلاق ، فرضى الزبائن هو خير اعلان

ـ ان مسألتى بسيطة وشائعة جدا فيما أعتقد ، فانك أخصائى فى نوع واحد من المتاعب

ـ انى مصغ اليك بكل جوارحى يا مستر بنـــدركس . وأظننا سنتكلم بخصوص مسز بندركس ؟

ـ ليس بالضبط ، انها زوجة صديق لى

ـ وهو الذى أرسلك بالنيابة عنه ؟

ـ كلا

ـ هل انت والسيدة على ... علاقة ؟

ـ كلا ، فانى لم أرها منذ سنة ١٩٤٤

ـ لم أستطع أن أفهم مرادك ، لقد اشرت الى ان القضية قضية مراقبة

ـ ان قضيتى قضية غيرة لا اكثر ولا اقل . انى زبون آخر غيور . ولكن مضى على موضوع غيرتى زمن طويل

ـ ليس فى الغيرة ما يشين ، يامستر بندركس ، فانى دائما أجد فيها أعظم آيات الحب . اذن هذه السيدة التى نتحدث بصددها ، لديك ما يدعو الى الريب فى انها فى الوقت الحاضر على علاقة مع آخر؟

ـ زوجها يظن انها تخونه . فهى تخرج لمقابلات خاصة بهـــا . وتكذب فى تحديد الاماكن التى كانت فيها ، أى أن لها أسرارا ... وربما كانت أسرارا بيضاء

ـ ان تجربتى الطويلة تؤكد صدق هذا الاحتمال

ثم تناول من فوق مكتبه كراسة وقلما ، وطلب منى اسم السيدة وعنوانها ووظيفة زوجها . ولما انتهى من ذلك قال لى :

ـ وهل مستر مايلز يعلم بمقابلتنا هذه ؟

ـ كلا . كلا

www.ibtesamh.com/vb

ـ اذن ينبغى ألا يلاحظ مستر مايلز مندوبنا للرقابة ؟
ـ بالطبع لا ...
ـ هذا يزيد الامر تعقيدا
ـ سأطلعه على تقاريرك فيما بعد
ـ هل للبيت خادمة ؟ وما عمرها ؟
ـ نعم ، ولا أدرى بالضبط عمرها ... قد يكون ثمانية وثلاثين سنة ؟
ـ ألا تعلم ان كان لها عشيق ؟
ـ كلا ، ولا أعرف كذلك اسم جدتها
ـ يبدو لى يا مستر بندركس انه لم تسبق لك خبرة فى أمور الاستعلامات . ان الخادمة قد تكون غاية فى الاهمية . اذ تستطيع أن تخبرنا بما لا حصر له من طباع سيدتها وعاداتها . وعلى كل حال ارجو أن تسمح لمندوبنا عند الضرورة القصوى أن يطرق باب منزلك
ـ عند اللزوم طبعا ، وهاك عنوانى ورقم تليفونى ، ولكنه ليس تليفونا خاصا ، لأن لدى صاحبة البيت توصيلة
ـ مفهوم .. مفهوم ، ولكن رجالنا فى غاية التحفظ واللباقة . هل تحب أن تتلقى التقارير أسبوعيا ، أم فى النهاية ، عند الوصول الى نتيجة ؟
ـ بل أسبوعيا ، فربما لم تكن هناك نتيجة .. !
ـ ولما بدأنا نتحدث عن الاتعاب ، وجدته معقولا جدا ، فقد طلب ثلاثة جنيهات عن كل يوم من أيام الرقابة ، بخلاف المصاريف اللازمة ، التى ستعزز بكشوف . مثل دخول المحلات العامة ، وركوب السيارات ، واستهلاك المأكولات والمشروبات ، اذا اقتضت الرقابة ذلك . وتقديم هدايا صغيرة وكأس من الشراب ، للحصول على معلومات من الخدم ومن اليهم
وهكذا تم الاتفاق ، وخرجت من عنده ، وقد ازحت عبئا عن كاهلى

www.ibtesamh.com/vb

الفصل الرابع

لمحة من الماضى

كان مستر سافيدج قد سألنى فيما سألنى :

ــ أليس لديك شىء تضيفه الى ما سبق ، ليساعدنا فى التحرى ؟

فالمخبر الخاص يهتم ، كالقصاص ، باستقصاء أكبر قدر ممكن من التفاصيل ، قبل أن يمسك بطرف الخيط الذى يقوده الى النور. وهاأنذا أحاول اليوم كتابة القصة التى عشتها ، وأجد ذلك العناء الشديد فى الوصول الى طرف الخيط الصحيح ، لكثرة ما تزدحم به تلك القصة من الاحداث

من أين لى أن أميز حدود الشخصية الانسانية من الاطار الذى يحيط بها مثقلا بالمناظر ، ما بين صحيفة يومية ووجبة يومية وحركة المرور الدائبة وطيور الماء التى تخرج من التاميز لتلتقط الفتات ، وازدحام الحديقة العامة فى أوائل صيف سنة ١٩٣٩ بالاطفال يلعبون فى صخب ؟ فانى مهما اجتهدت لن أجد من اليسير اكتشاف الصديق الذى تزمع سارة ان تتخذه لنفسها من بين الكثيرين الذين دعاهم هنرى الى حفلة فى بيته

وكان أول لقاء لنا ونحن نحتسى شراب الشرى الردىء الذى ينتجه اتحاد جنوب افريقيا ، لأن الحرب الاهلية فى اسبانيا قطعت ورود الشرى الجيد . وأظننى لاحظت تلك الليلة شيئا يميز سارة لاول وهلة . وهو مظهر السعادة . فى فترة كان الهم قد بدأ يقض مضاجع الناس توجسا من العاصفة الدولية التى تتجمع فى أفق الدنيا . بحيث أمسى الانسان لا يبصر السعادة الا فى وجوه السكارى أو الاطفال

وشعرت نحوها على الفور بميل لانها قالت لى أنها قرأت مؤلفاتى.

www.ibtesamh.com/vb

ثم تركت الحديث فى هذا الموضوع الى موضوعات أخرى . وبهذا الفيتنى منظورا الى باعتبارى انسانا لا باعتبارى مؤلفا . ولكن لم يخطر ببالى تلك الليلة على الاطلاق أن أقع فى حبها . وكل ماشعرت به فى هذه المرة الاولى هو جمالها ، وسعادتها ، وطريقتها فى لمس الناس بيديها كأنها تحبهم . وأذكر فقط من دلائل ذكائها الفطرى انها قالت لى فى تلك الليلة :

ـ انك فيما يبدو تكره الكثيرين من الناس ؟

وأظننى كنت فى حديثى قد أسرفت شيئا ما فى نقد اخوان لى فى صناعة التأليف . ولكنى لا اذكر بالضبط

وأحسب حظها الفائق من الجمال والذكاء والسعادة الظاهرة على الوجه فى اشراق ، هو الذى جعلنى لا اشعر فى أول ليلة بحبها . فتلك الصفات الفائقة أشعرتنى بشىء من النقص ، وأنا رجل كانت الرغبة تقترن لديه دائما بشىء من الشعور بتضخم الشخصية

وكانت الليلة حارة جدا . وزادتها حرارة الكئوس الكثيرة التى شربناها من الخمرة الرديئة . ثم خرجت اتمشى فى الحديقة العامة مع هنرى . وكان المنظر ساحرا يلمس القلب ويحركه . فقال لى هنرى :

ـ ما ايسر السعادة لو صدقنا النية ! اذن لكنا جميعا سعداء

فأحسست بميل شديد الى هنرى وهو واقف هناك بجوارى ودموع الروعة تترقرق فى عينيه لمنظر الاصيل ، بعيدا بمشاعره عن الحفل القائم فى بيته

ـ ان لك بيتا رائعا بموقعه ونظامه

ـ زوجتى هى التى عثرت عليه واختارته

ولم أكن التقيت به من قبل الا مرة واحدة منذ اسبوع . وكان فى هذه الفترة رئيس قلم فى وزارة المعاشات . وكان اختيارى وقع عليه للزومه فى بعض مادة كتابى الجديد . وقد علمت فيما بعد انه دعانى الى الحفلة فى بيته بتوجيه من زوجته

ـ ألك مدة طويلة متزوجا ؟

ـ عشر سنوات ...

ـ ان زوجتك فى غاية الظرف والسحر

www.ibtesamh.com/vb

ـ انها عون كبير لى . اظننى ينبغى أن أعود الآن . يابندركس . فلا يصح أن أترك لها كل متاعب الحفلة وحدها

ووضع يده على ذراعى كأننا تعارفنا منذ امد طويل . فهل تراه تعلم هذه اللمسة منها ؟ .. ان المتزوجين كثيرا ما يغدون بالتآلف متشابهين

وعدنا سائرين جنبا الى جنب. فلما فتحنا الباب الزجاجى المؤدى الى البهو لمحت صورة اثنين فى مرآة جانبية وهما يتباعدان على أثر قبلة . وكانت سارة أحد هذين الشخصين . وتطلعت الى هنرى فاما انه لم يفطن . واما انه لم يكترث ...

فهل ترى كان مستر سافيدج يمكن أن يعتبر هـذا المشهد من التفاصيل التى تساعده على التحرى ؟

وقد عرفت فيما بعد أن هذا الشخص لم يكن صديقها بل أحد زملاء هنرى فى وزارة المعاشات هجرته زوجته منذ أسبوع مع أحد رجال البحرية . وكان التقاء سارة به ذلك اليوم لاول مرة ...

وكان بودى أن أترك ذلك المـاضى وشأنه . لانه يثير ضـدى الكراهية . والعجيب أن الكراهية عادت بكل عنفها وانا اسجل الآن حوادث سنة ١٩٣٩ . والكراهية تثير فى النفس الغدد بعينها التى يحركها الحب . بل وتنتج الافعال بعينها التى ينتجها الحب

▭

ولما عدت الى البيت بعد مقابلة مستر سافيدج قالت لى صاحبة الدار ان مسز مايلز سألت عنى بالتليفون . فشـعرت بتلك الهزة التى طالما شعرت بها عندما كنت أسمع الباب الامامى يقفل ثم أسمع وقع خطواتها فى البهو . وتمنيت لو اتيح لى ذلك مرة أخرى ولو مرة واحدة كى أسترد شـيئا من هدوء نفسى . مهما كانت تلك الاعادة لشىء انقضى منذ شهور فجه ومبتسرة . فانها على كل حال كانت حرية أن تغسل من كيانى سموم الكراهية . وبعد هذا أتركها أنا ، ولا تكون هى التى تركتنى ... كما فعلت

وانه لامر غريب أن أعود بعد ثمانية عشر شهرا من الصمت الى تكوين تلك الارقام التى تدل على تليفونها . وأغرب من ذلك اننى نظرت فى مفكرتى لأتأكد من الرقم . أهكذا اذن تتبـدد قطع من انفسنا سريعا حتى تكاد تنطمس معالمها ؟

www.ibtesamh.com/vb

وجعلت أصغى لرنين التليفون وأنا أتساءل أترى عاد هنرى فى هذه الساعة من الوزارة ، وماذا عساى أقول له ان كان هو الذى أجابنى . وأدركت أن صلتى بالاكاذيب انقطعت منذ هجرتنى . ولم أعد أجد الخداع أمرا طبيعيا

وسمعت صوت الخادمة المدربة أحسن تدريب تكرر رقم التليفون كالهمس فى اذنى فسألتها هل مسز مايلز موجودة فقالت لى اننى لا شك أخطأت الرقم . فرجعت الى الدليل فوجدت الرقم صحيحا. بيد أن الدليل كان هو دليل العام الســـابق . ففكرت أن أطلب الاستعلامات وأسأل عن رقم مستر مايلز الجديد . واذا التليفون يرن . واذا سارة هى التى تتكلم . وبشىء من الحرج قالت :

ــ أهو أنت ؟

فلم يحدث أبدا أن نادتنى باسمى . والآن وهى لا تسيغ مخاطبتى بما عهدته من ألفاظ التدليل والاعزاز ، تجد نفسها فى حيرة ، فلم تسعفها الا

ــ أهو أنت ؟

ــ بندركس يتكلم

ــ أنا سارة . هل وصلتك رسالتى مع صاحبة البيت ؟

ــ كنت على وشك أن أطلبك . ولكن كان عندى مقال يجب أن أتمه . وبهذه المناسبة لا أظن أن عندى رقم تليفونك الجديد . انه فى الدليل فيما أظن ؟

ــ كلا . لم يظهر فى الدليل بعد لأننا غيرنا الرقم . انه ماكولى ٦٢٠٤ وأريد بهذه المناسبة أن أطلب طلبا . . .

ــ نعم ؟

ــ انها مسألة بشعة جدا . أريد باختصار أن أتناول الغذاء معك

ــ بكل سرور . متى ؟

ــ أيوافقك غدا ؟

ــ كلا . ليس غدا . هذا المقال أمامى مستعجل جدا

ــ يوم الاربعاء اذن ؟

ــ أيمكن أن نجعله يوم الخميس ؟

ــ يمكن . . .

ــ اذن نتقابل يوم الخميس فى الكافيه رويال فى الساعة الواحدة

www.ibtesamh.com/vb

ـ هذا كرم منك . الى اللقاء يوم الخميس

وجلست وسماعة التليفون فى يدى . وتطلعت الى الكراهية وقد تمثلت لى رجلا قبيحا أحمق لا يود أحد أن يعرفه . ثم اسرعت فضربت رقمها الجديد

ـ سارة . ليكن غدا . فى نفس الزمان ونفس المكان

ثم ارتميت على المقعد وأصابعى تداعب التليفون الصامت ، وأنا اتطلع الى شىء لم أتبينه . ولكنه بهيج . وهذا ما يسميه الناس احساسا بالامل ...

** معرفتي **
www.ibtesamh.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر يوليو ٢٠١٧

www.ibtesamh.com/vb

الفصل الخامس

اللقـــاء

جلست أمام المائدة فى الكافيه روايال وبسطت أمامى الصحيفة ، أطالعها مرارا وتكرارا حتى لا أنظر الى جهة البـــاب . وكان الناس يدخلون بلا انقطاع ، ولست أحب أن أكون من أولئك الذين يكشفون بتحريك راسهم علوا وسفلا عن تطلع أحمق . ثم ما الذى نتوقعه ؟ وماذا يمكن أن تكون قيمته حتى نترك خيبة الأمل تطبعنا بميسمه ! ؟

كان فى الصحيفة الكلام المألوف عن جرائم القتل . وثرثرة برلمانية عن تطبيق نظام البطاقات على الحلوى . وهى حتى الآن متأخرة عن موعدها خمس دقائق ، ومن سوء حظى انها ضبطتنى متلبسا بالنظر الى ساعتى . وسمعت صوتها

ـ آسفة . جئت بالاتوبيس وكان المرور معاكسا

ـ ان المترو أسرع من الاتوبيس

ـ اعلم هذا ، ولكن لم أكن انشد الاسراع

وكم من مـــرة أذهلتنى بصراحتها . فحتى فى ايام احتدام حبنا عبثا كنت أحاول أن أجعلها تقول اكثر من الصدق بشعرة واحدة . كأن غرامنا لن تكون له نهاية . أو اننـــا سوف نتزوج يوما . ولو قالت ذلك لما صدقتها . بيد انى كنت أحب ان أسمع تلك الكلمات من لسانها ، ولو لكى تكون لى لذة الاعتراض أو الرفض او الانكار . الا انها لم تلعب فى يوم من الايام لعبة التمويه هذه . بل كانت تقضى فجأة وعلى غير انتظار على تحفظاتها فى الكلام بعبارة من عباراتها التى تفيض رقة وعذوبة وغنى . وانى لاذكر مرة وانا شقى لتقريرها بهدوء أن علاقاتنا سوف تنقطع فى يوم من الايام ، واذا بها تقول فى سعادة لا يصدقها العقل :

www.ibtesamh.com/vb

ـ انى لم أحب ابدا رجلا كما أحببتك . ولن أحب رجلا كما أحببتك !

وجلست بجوارى ثم طلبت كأسا . فقلت لها :

ـ لقد حجزت مائدة فى مطعم رولز

ـ الا يمكن ان نمكث هنا ؟

ـ انه المكان الذى كنا نذهب اليه دائما

ـ نعم ...

وربما كنا متكلفين فى جلستنا أو ما اشبه ذلك . لأنى فطنت الى اننا استرعينا انتباه رجل قصير كان جالسا فوق أريكة غير بعيد . فحملقت فيه كى يغض طرفه . ولم أجد صعوبة فى ذلك ، لانه سرعان ما حول عينيه وشاربه الطويل عنا ، فصدم مرفقه كوب البيرة على الأرض . واشتد ارتباكه ، فشعرت بالأسف له لانى ظننته ينظر نحوى وقد عرفنى من صورى المنشورة على غلاف مؤلفاتى . وكان معه غلام صغير جالس بجواره ، فاحمر وجه الغلام عندما اقترب الساقى وبدا ابوه يعتذر اليه بحرارة لا لزوم لها ، فقلت لساره :

ـ لك طبعا ان تتناولى طعامك اينما شئت

ـ انى فى الحقيقة لم اذهب الى هناك بعدها

ـ انه لم يكن مطعمك المختار

ـ وهل تذهب انت هناك كثيرا ؟

ـ انه يوافقنى . لهذا اذهب مرتين أو ثلاث مرات اسبوعيا .. هيا بنا ...

ونهضت واقفة فاستولت عليها نوبة من السعال اقوى من احتمال بدنها الصغير . وتصبب جبينها بالعرق

ـ هذا سعال مزعج

ـ كلا انه لا يهم . آسفة

وناديت : « تاكسى » فقالت : افضل ان نمشى

وفى طريقنا الى شارع ميدان ، مررنا على الجانب الايسر بمدخل بناء منزو ، فلم نعره التفاتا . وفى هذا المدخل المنزوى دفعتها فى أول ليلة خرجت بها للعشاء وقبلتها . ولست ادرى الى اليوم لماذا

www.ibtesamh.com/vb

فعلت ذلك ما لم يكن باغراء المنظر الذى رأيته لها فى المرآة مع زميل زوجها اثناء الحفلة التى كانت أول فرصة التقيت فيها بسارة . لم افكر قبلها فى مغازلتها . لأنها كانت اجمل بكثير من ان تراودنى نفسى على الوصول اليها . ولكنها صورة المرآة اللعينة أوحت الى انها منهل مباح

ولما جلسنا فى مطعم الرولز أقبل أحد السقاة القدامى فقال لى :

ـ مضى زمن طويل يا سيدى لم نرك هنا

فتمنيت لو اننى لم أكذب على سارة ، وقلت :

ـ انى اتغدى فى الطابق العلوى عادة

ـ وانت يا سيدتى ؟ لم نحظ بتشريفك منذ زمن ايضا ؟

ـ منذ سنتين تقريبا

وقطعت صحاف الطعام علينا حديثنا السطحى . حتى اذا انتهينا من طعامنا فتحت الموضوع الذى من أجله طلبت ان تتغدى معى

ـ اردت أن نتغدى معا لأنى أريد ان اسألك عن هنرى

ـ هنرى ؟!

وحاولت ان انفى عن صوتى ظلال خيبة الأمل

ـ انى قلقة عليه . كيف وجدته تلك الليلة ؟ الم يكن غريب الأطوار ؟

ـ لم الحظ عليه شيئا غير طبيعى

ـ اردت أن أطلب منك . مع علمى انك مشغول جدا . ان تتكرم بزيارته بين حين وحين ، فأنى أظنه يعانى الوحدة

ـ وهو معك ؟

ـ انت تعرف انه لم يشعر بى فى الحقيقة ابدا . منذ سنوات

ـ لعله بدأ يشعر بك عندما لم تصبحى هناك

ـ انى لا أخرج كثيرا هذه الايام

وقطعت هذه العبارة نوبة سعال ، ولما انتهت منها سألتنى :

ـ هل أنت مشغول بكتاب جديد ؟

وانه لسؤال غريبة لغريب فى حفلة كوكتيل ! ولم اعهدها تقترف كلاما كهذا حتى فى أول مرة التقينا على كئوس الشرى الرديء فى بيتها

ـ طبعا . . .

www.ibtesamh.com/vb

ـ انى لم احب كتابك الأخير كثيرا

ـ كانت محاولة للكتابة بأى شكل يومئذ . بعد عودة السلام . والكتاب يستغرق منى عاما فى كتابته . انه عمل شاق

ـ خشيت أن تكتب موضوعنا القديم

ـ ان عملا شاقا كالكتابة أفدح من أن أبدده فى الانتقام

ـ ليتك تعلم ضآلة ما تظن انك تنتقم له . .

ـ انما كنت أمزح ، فقد قضينا معا زمنا رغدا . وكنا نعلم ان الأمر سينتهى يوما ما . وها نحن نستطيع ان نلتقى اصدقاء كما ترين ، ويكون موضوع كلامنا هو هنرى

ودفعت حساب الطعام ثم خرجنا ، وعلى بعد عشرين خطوة كان مدخل ذلك البناء المنزوى ، فوقفت امامه لقربه من سلم محطة المترو

ـ اظنك ذاهبة الى ستراند ؟

ـ كلا . بل الى ميدان لايسستر

ـ اما انا فذاهب الى ستراند

ـ اتصل بى كلما تيسر لديك فراغ

وكان الشارع خاليا فاتجهت نحوها قائلا :

ـ ساره !

فالتفتت برأسها مستحيية كأنها تنظر هل أحد قادم ، وهل هناك فرصة . فلما ارتدت بوجهها انتابها السعال . فانثنت فى المدخل وجعلت تسعل وتسعل حتى احمرت عيناها . وبدت فى معطف الفراء كالحيوان فى الشرك

ـ آسفة

ـ ينبغى ان تعالجيه

ـ انما هو سعال . . الى اللقاء يا موريس

وكأنما نداؤها لى باسمى الأول اهانة ، فانى لم أكن أحبه . ولهذا لم أتناول يدها الممدودة وانطلقت مبتعدا من غير ان التفت ورائى ، محاولا أن أبدو بمظهر الرجل المشغول الذى كان يتلهف على الانصراف . ولكن صوت سعالها من جديد جعل يطرق اذنى . فحاولت أن أصفر بفمى لحنا طروبا ، بيد ان صوتى خاننى ، فانى لم اكن فى يوم من الايام من اخوان النغم

www.ibtesamh.com/vb

الفصل السادس

تقرير

حين يكون المرء صغير السن ، يضع أسسا لنظام عمله ، معتقدا انها ستصمد مدى الحياة ، أمام جميع الكوارث . ومن هذا القبيل اننى قضيت أكثر من عشرين سنة أكتب بمتوسط خمسمائة كلمة فى اليوم ، خمسة أيام فى الاسبوع . وبهذا المعدل استطعت أن أتم أى رواية من رواياتى فى سنة مع انفساح الوقت للمراجعة وتصحيح الأصول والتجارب المطبعية . وكنت طيلة حياتى منهجيا للغاية . فمتى أتممت حصتى من العمل أكف عن الكتابة حتى فى وسط المشهد ، وبين الحين والحين أثناء عمل الصباح ، أعد الكلمات التى سطرتها ، واسجلها مائة مائة على هامش المخطوط . وهذا كان يساعد الطابع لأنه يغنيه عن تقدير صفحات أى كتاب من كتبى قبل طبعه . لانه يجد دائما على واجهة المخطوط الرقم الدقيق لكلمات الكتاب . ولم تكن غرامياتى أيام الشباب لتغير شيئا من هذا المعدل . اذ لم يكن مسموحا فى نظامى للغرام ان يبدأ فى الاستحواذ على اهتمامى الا بعد الغذاء . ومهما تأخرت فى الايواء الى فراشى ليلا ، كنت أعيد قبل النوم وأنا فى الفراش ما كتبته فى الصباح ويكون ذلك آخر ما أغمض عليه عينى . ولم تستطع الحرب ان تغير من هذا النظام كثيرا . لأن العرج الذى فى أحد ساقى نأى بى عن الجيش . فظللت مواظبا على معدلى البطىء المستمر من الكلمات

واستطاعت ساره دون غيرها ان تدخل الاضطراب فى ذلك النظام الصارم . لأنى كنت لا أتمكن من مقابلتها غالبا الا فى الصباح . اذ انها لم تكن لترى نفسها خالية من زيارات الاصدقاء فى الأصيل والمساء . وكنت أعود الى قلمى بعد مقابلتها لأن السعادة لا تعرقل

www.ibtesamh.com/vb

العمل كثيرا . أما الشقاء فهو الذى يهدم كل نظام

وعند ما تبينت أننى كثيرا ما أتشاجر معها ، وأحمل عليها فى سخط وتوتر أعصاب تيقنت ان حبنا قد قضى أمره . وانه تحول الي علاقة غرامية لها بداية ولها نهاية . ومنذ تلك اللحظة اضطرب نظامى ولم يعد فى استطاعتى بعد مفارقتها ان أخلد الى العمل ، بل كنت انصرف الى تحليل كل ما تبادلناه من الكلام ، ثم أعيد ترتيبه من جديد . فيفضى بى ذلك اما الى الغضب او الندم ، وأدركت أننى بهذه السياسة أبذل جهدى لاخراج الشيء الوحيد الذى أحببته من أفق حياتى

ان مأساتى عندئذ أننى كنت اريد الحياة لنفسى طالما كنت أحب. أما ان قدر للحب ان يموت ، فانى اريد له أن يموت سريعا ، فكأنما حبنا مخلوق صغير أطبق عليه شرك يدميه رويدا رويدا . فلا بد لى رحمة به ان اغمض عينى وأحطم عنقه

وطيلة ذلك الوقت كان العمل مستحيلا ، لأن معظم عمل الروائى يتم فى اللاشعور ، وفى اللاشعور تنتهى آخر كلمة قبل ان تبدأ على الورق أول كلمة ، فنحن حينما نكتب قصة نتذكر تفاصيلها نقلا عن اللاشعور ، ولا نخترعها ، ولم تستطع الحرب بغاراتها الليلية العنيفة ان تغير شيئا فى نظام هذه الأغوار اللاشعورية ، أما الآن فهناك ما هو أهم عندى من الحرب بكثير . وأهم من روايتى ، هناك نهاية حبى ، وهذه النهاية كنهاية أى رواية تمت صياغتها فى أعماق اللاشعور ، فالكلمة الحادة التى تدفعها الى البكاء دفعا ، وتبدو كأنها قفزت الى الشفتين فورا ، انما شحذتها تلك الاغوار العميقة من اللاشعور . ولهذا تلكأت روايتى دون ختامها ، وأسرع حبى على جناح الألهام الى ختامه المحتوم

▭

وحاولت جاهدا ان اعمل فى الصباح كسابق عهدى ففشلت . وفى الغذاء كنت أكثر من الشراب ، فتضيع فى الخمر فترة بعد الظهر، وعندما يخيم الظلام أقف فى النافذة وقد أطفأت النور وأنظر عبر الحديقة العامة الى النوافذ المضاءة فى الناحية الشمالية منها . وكان الليل باردا وندف الثلج تتساقط . ولهذا لم اسمع فى ذلك المساء

www.ibtesamh.com/vb

جرس الباب . الى ان طرقت ربة البيت الباب وقالت :

ـ شخص اسمه مستر باركيس يريد مقابلتك

ففهمت من لهجتها المستوى الاجتماعى للزائر ، وان لم أسمع باسمه من قبل ، فطلبت منها ان تدخله . ثم أشعلت مصباح المكتب ودخل رجل له عينان رقيقتا النظرة ، وشارب قديم الطراز بلله المطر

ـ انى يا سيدى مندوب مستر سافيدج

ـ تفضل بالجلوس

ـ لقد حضرت يا سيدى لتقديم التقرير الذى طلبتم أن يكون اسبوعيا

ـ وهل هناك شيء يستحق التبليغ ؟

ـ هاك تقريرى يا سيدى من المصروفات

ـ ان لك خطا واضحا جدا ، مثل خط تلاميذ المدارس

ـ انه خط ابنى ، وأنا أدربه على المهنة

ـ كم عمره ؟

ـ جاوز الثانية عشرة . ومثله يفيد فى مهنتنا أحيانا لانه بعيد عن الشبه ولا يتكلف المرء له الا ثمن صحيفة للاطفال بين الحين والحين . وأنا لا أدعه يفهم ما وراء الرقابة من مغزى . وعند المواقف الحساسة احرص على ابعاده .

وقرات المصروفات مسجلة بالبنس والشلن بكل دقة . وبعد ذلك قرات التقارير عن تتبع ساره . وتحت تاريخ ١٩ يناير قرأت ما يلى :

ـ ركبت السيدة الاوتوبيس الى ملعب بيكاديللى . ثم دخلت الكافيه روايال حيث كان سيد فى انتظارها . فجلست أنا وابنى على أريكة قريبة . ولاحظت ان السيدة والسيد منهمكان فى الحديث والحال تدل على ارتفاع الكلفة الناجم عن زيادة المودة . وأظن انهما فى لحظة ما تشابكت يداهما تحت المائدة . وان لم اكن على تمام الثقة من ذلك . فان اليد اليسرى للسيدة كانت بعيدة عن نظرى . وكذلك يد السيد اليمنى مما يوحى بحركة من النوع الذى أشرت اليه سابقا . وبعد حديث قصير نهضا سائرين على

www.ibtesamh.com/vb

الاقدام الى مطعم منزو يعرفه زبائنه باسم مطعم رولز . وهناك جلسنا على اريكة وطلبا غذاء .

ـ ألم تتحقق من شخصية هذا السيد ؟

ـ استمر يا سيدى فى القراءة من فضلك وستعرف كل شىء

ـ وشربت كأس كوكتيل على البار . ولكنى لم أستطع ان استخرج من أى واحد من السقاة ولا من فتاة البار حقيقة هذا السيد . ثم حاولت تلافى هذا الفشل بعقد صداقة مع بواب مسرح الفودفيل المجاور كى يراقب لى هذا المطعم . وبعد الغذاء خرجت السيدة والسيد الى حارة ميدن وهناك افترقا . وخيل الى انهما كانا فى حالة انفعالية شديدة ، وربما كان افتراقهما ابديا. وترددت هل أتعقب السيد أم السيدة . ثم ذكرت أننى مكلف بتعقب السيدة . ورأيتها تسير وهى فى اضطراب شديد الى تقاطع طريق تشارنج . ثم دخلت متحف الصور القومى مدة دقائق . ويظهر انها كانت تنشد اى مكان قريب تجلس فيه . لأنها دخلت فى اقرب كنيسة

ـ كنيسة ؟

ـ كنيسة كاثوليكية يا سيدى فى حارة ميدن . ذ لتصلى او تركع ، بل لتجلس . أما أنا فركعت خلفها ببضع خطوات . وبهذا تيقنت انها لم تكن تصلى . جلست مستريحة الى ظلام الكنيسة ريثما تهدأ عواطفها . وبعد ثلاث دقائق خرجت من غير ان تكلم أحدا . والظاهر انها كانت بحاجة الى نوبة بكاء

ـ ربما كنت على صواب يا مستر باركيس فى كل شىء ، الا تشابك الأيدى

ـ تشابك الايدى يا سيدى ؟

فقربت ضوء المكتب حتى سقط على وجهى وقلت :

ـ اننا لم نحاول فى جلستنا أن تتلامس يدانا

وشعرت على الفور بالندم على فكاهتى العملية ضد هذا الرجل الطيب الضعيف البصر . اذ رأيته يحملق مفتوح الفم كالمشلول . فضحكت وقلت :

ـ هذا التباس يحدث كثيرا يا مستر باركيس ، وكان يجب على مستر سافيدج أن يقوم بتقديمنا

www.ibtesamh.com/vb

ـ لا تحاول التخفيف عنى يا سيدى ، فالخطأ خطئى انا
ـ لا عليك ، فالموقف لا يخلو من دعابة مستملحة . واشهد انك كنت دقيقا جدا فى جميع التفاصيل
ـ وابنى ؟ ماذا سيقول عنى اذا عرف هذه الفضيحة ؟
ـ لا تدعه يعرف ، لا تصحبه معك فى بقية المراقبة
ـ ولكنه يتيم ، ونحن فى اجازة مدرسية ، وعادتى جرت ان أعلمه مهنة التتبع الذكى الهادىء فى عطلات مدرسته
ـ لا تضطرب للامر كثيرا يا مستر باركيس
ـ وراقبته من النافذة وهو منصرف منكس الرأس بقبعته العتيقة . ثم فطنت الى ان زيارته كانت العشر دقائق الوحيدة المتصلة التى لم افكر فيها فى سارة او فى غيرتى الجامحة . بل كنت اقرب الى البشر ، باهتمامى بأمر انسان آخر لا مصلحة مباشرة لى فى الاهتمام به

www.ibtesamh.com/vb

الفصل السابع

هـــذه القُبلة

طالما اعتقدت ان الغيرة لا توجد الا مع الرغبة او الشهوة ، ولكنى اظن أن هناك أنواعا مختلفة من الرغبة ، ورغبتى فى هذه الفترة كانت اقرب الى الـكراهية منها الى الحب ، واما هنرى فكنت قد فهمت من سارة ذات مرة أنه اقلع منذ زمن طويل عن الشعور بأية رغبة جسدية نحوها ، ومع ذلك اظنه فى هذه الايام يشعر بمثل الغيرة التى اشعر بها ، فرغبته لم تكن تتجاوز الحاجة الى الصحبة ، فلما شعر انه اصبح للمرة الاولى بمعزل عن اسرار سارة وثقتها ، شعر بالانزعاج والقنوط ، لانه لا يدرى ماذا يحدث ، او ماذا سيحدث ، فهو فى حالة فظيعة من عدم الطمأنينة ، وهو من هذه الناحية أسوأ منى حالا ، لانى على الاقل مطمئن وموقن من شىء واحد ، هو عدم امتلاكى لشىء ، فلا يمكن ان امتلك اكثر مما فقدته ، اما هو فلم يزل يمتلك وجودها معه على المائدة ، وصوت قدميها على السلم ، وفتحها واغلاقها للابواب ، والقبلة العجلى على الخد ، فلا اظن هناك بينهما مايزيد على ذلك ، ولـكن ما أعظم ذلك فى نظر رجل محروم من كل شىء !..

ويزيد حاله سوءا ، انه شعر زمنا ما بطعم الطمأنينة واليقين الذى لم اعرفه ابدا ، فلا اظنه حتى الآن يعلم اننى وسارة كنا عشيقين ، وانى احس بذهنى وانا اكتب هذه الـكلمة ينفلت من قيود ارادتى ويعود بى فى جموح الى الموضع الذى بدأ منه تاريخ عذابى وألمى

▭

كان قد انقضى أسبوع كامل على تلك القبـلة المبتسرة فى حارة ميدن ، قبل ان اطلب سارة بالتليفون ، وقد اشارت اثناء العشاء

www.ibtesamh.com/vb

الى ان هنرى لا يحب مشاهدة السينما ، ولهذا قلما تذهب اليها ، وفى ذلك الوقت كانت الشاشة تعرض فيلما مأخوذا عن قصة لى ، فانتهزت الفرصة كى اتباهى ، ولازيد من معرفتى بحياة الموظفين الخاصة ، لا عن رغبة ملحة ، ودعوت سارة ان تذهب معى لمشاهدة الفيلم ، ثم اردفت :

ـ اظنه لا فائدة من دعوة هنرى ؟

ـ لا فائدة اطلاقا

ـ الا يستطيع ان ينضم الينا بعدها على العشاء ؟

ـ انه يحضر معه كل ليلة ملفات كثيرة للدراسة ، بسبب استجواب قدمه احد نواب العمال للوزير ، وطلب اعداد اجابة وافية من هنرى

وبهذا يمكن ان اقول ان ذلك النائب العمالى هو الذى سوى لنا تلك الليلة مهاد حبنا الاول

ولم يكن الفيلم جيدا لان المخرج شوه القصة حتى لم اكد اتبين فيها نفسى ، وهمست فى الظلام ابين لها براءتى مما تراه ، فربتت على ذراعى بيدها فى حنان وفهم ، ومن تلك اللحظة استمرت يدانا فى التشابك ، ثم انتقلنا فى بقية الفيلم الى عناق طبيعى كعناق الاطفال، وفجأة نقل الفيلم بأمانة منظرا كاملا من قصتى ، وكان منظر مطعم صغير رخيص ، طلب فيه العشيق طبقا من اللحم بالبصل ، وترددت الفتاة لحظة فى اكل البصل لان زوجها يكره رائحته ، وغضب العشيق لانه تبين ما وراء هذا التردد ، وقفز الى ذهنه ازدواج حياتها ، وما تتعرض له بكل ثبات من عناق زوجها بعد عودتها الى البيت من خلوتهما

وانتهى المنظر وكان تأثيره عميقا ناجحا فشملتنى السعادة لحظات هى كل ما تتيحه الكتابة للكاتب من جزاء ، وثارت فى نفسى الرغبة أن أعود الى البيت وأعيد مطالعة هذا المنظر ، وتمنيت لولم اكن دعوت سارة الى العشاء ايضا

ولما ذهبنا بعد السينما الى مطعم رولز ، وقدموا الينا اضلاع اللحم ، قالت :

ـ فى الرواية كلها منظر واحد اظنك صاحبه منغير تصرف المخرج

ـ هذا صحيح

www.ibtesamh.com/vb

ـ اليس هو المشهد الخاص بأكلة البصل ؟
ـ بلى ، هو بعينه
وفى هذه اللحظة بالذات وضع امامنا طبق البصل ، لان الخدم هناك يعرفون عاداتى جيدا ، واذا بى اقول مع انه لم يخطر ببالى اى اثر للرغبة فيها طيلة المساء !..
ـ وهل يكره هنرى البصل ؟
ـ نعم ، لايطيقه ، وهل تحبه انت ؟
ـ نعم ..!
فقدمت لى منه ، ثم وضعت فى فمها بضعة كبيرة منه
فهل يمكن ان يقع الانسان فى الحب بسبب اكلة بصل ؟ ان هذا يبدو بعيد الاحتمال ، ومع هذا اقسم اننى فى تلك اللحظة بالذات وقعت فى حبها !
بطبيعة الحال لم تكن اكلة البصل هى كل السبب ، ولكن كان السبب الاكبر هو ذلك الاحساس المفاجىء بما فى هذه المراة من ذاتية وفردية بارزة ، وصراحة كانت مصدرا فيما بعد للكثير من نوبات سعادتى وشقائى
وكأنما كانت مضغة البصل فى فمها بهذه البساطة زرا كهربائيا حرك جهازا ضخما من عناصر وجدانى ورغباتى ، فمددت يدى من تحت غطاء المائدة ووضعتها فوق ركبتها ، فمدت يدها وضغطت على تلك اليد فى موضعها الذى استقرت فيه ، فقلت :
ـ ما اطيب هذا اللحم الذى قدموه لنا الليلة
ـ انه اطيب ما اكلته فى حياتى
وهكذا بدأ الحب : لامطاردة ، ولا غزل ، ولا اغواء ، وتركنا نصف اللحم الطيب فى طبقينا ، وثلث النبيذ فى الزجاجة ، ثم خرجنا الى حارة ميدن وفى راسينا دعوى واحدة ، ففى الموضع السابق بالضبط فى فتحة الباب المعتمة تعانقنا وقلت لها ونحن نتبادل القبلة :
ـ انى عاشق
ـ وانا كذلك
ـ انى امقت فكرة عودتك لهنرى فى البيت
ـ لا عليك ، فهو مشغول عنى بمعاشات الارامل
ـ انى امقت حتى فكرة تقبيله اياك

www.ibtesamh.com/vb

ـ لن يفعل ، فهو لايكره شيئا كما يكره البصل ، لماذا لا تأتى معى حتى البيت ؟ لماذا نفترق هنا ؟

وصحبتها الى باب البيت ، ورأينا النور ينبعث من نافذة مكتب هنرى ، فصعدت معها الى حجرة جلوسها وهنـاك تعانقت يدانا لا تريدان ان تفترقا ، فقلت لها :

ـ انه سمعنا نصعد وسيصعد فى اى لحظة

فأجابتنى بهدوء افزعنى :

ـ سنسمعه ، هناك درجة فى السلم تحدث صوتا ، اطمئن

وتبادلنا قبلة ، ولـكن لم يتسع لى الوقت كى اخلع معطفى اذ سمعنا صوت درجة السلم ، ثم راقبت فى اسى هدوء وجهها التام حين دخل هنرى ، وكيف قالت له بصورة طبيعية جدا كادت تجعلنى انا اصدقها :

ـ كنا نتمنى فعلا ان تصعد لتقدم الينا كأسا

ـ طبعا ، ماذا تشرب يا بندركس ؟

ـ لا اريد شيئا ، امامى عمل هذه الليلة

ـ اظنك قلت انك لا تعمل ابدا فى الليل

ـ هذا عمل طارىء ، نقد كتاب

ـ كتاب له شأن ؟

ـ ليس كبيرا

وصحبتنى سارة الى الباب الخارجى ، وهناك تبادلنا قبلة اخرى ، وفى تلك اللحظة بالذات كنت اميل الى هنرى لا الى سارة ، ولحظت تغيرى فسألتنى لانها كانت سريعة الفطنة الى معانى القبلة وومضات الذهن

ـ ماذا بك ؟

ـ لا شىء ، سأكلمك تليفونيا فى الصباح

ـ من باب الحذر يحسن ان اكلمك انا

الحذر ! انها مدربة على اساليب مثل هذه المناورات الغرامية والعلاقات المستترة ، وتذكرت قولها عن درجة السلم التى تنبئها دائما بصعود زوجها :

دائما ؟ . . اذن هناك دائما

www.ibtesamh.com/vb

الفصل الثامن

حاسة الشقاء

ان حاسة الشقاء ايسر تناولا واستدعاء من حاسة السعادة ، فنحن فى الشقاء يشتد تنبهنا الى وجود ذواتنا ، لان الالم يزيد من شعورنا بكياننا الذى ينفرد بهذا الالم ، وبأعصابنا التى تنتفض ، فهى اعصابنا نحن ولا يمكن ان تختلط بأعصاب سوانا ، اما السعادة فتلاشينا وتعدم ذاتينا وفردية كيانا

وقد تعود المتدينون حين يصفون شعورهم نحو الله ، ان يعبروا عن ذلك بألفاظ الحب البشرى المألوفة فى العلاقات بين الناس ، وكذلك يجوز لنا فيما يلوح لى ان نستخدم فى وصف حبنا لامرأة الفاظ العبادة والتأمل والخشوع والمكاشفة والاندماج ، فنحن فى الحالتين نتخلى عن الذاكرة وعن الذكاء والذهن ونشعر بالفناء وسكينة النفس والطمأنينة ، وما اكثر المحبين الذين بدت لهم نشوة الحب ضربا من الموت الوقتى القصير ، كما بدت نشوة العبادة لبعض الزاهدين فناء او موتا الى حين ..

وانى لاعود بذاكرتى فى هذا الجو الصوفى الى تلك الشهور الاولى من الحرب ، فأجد الامن والسلام يسودان نفسى فهل كان ذلك شعورا مزيفا ؟ مهما يكن من شىء فان هذه الفترة تبدو لى الآن رائعة بما اتاحته لى من راحة نفسية وهناء لا مزيد عليه ، لولا انه حتى فى تلك الحقبة الاولى كان وسواس الشك وسوء الظن لايكف عن الهمس فى اغوار نفسى

وكما عدت الى بيتى فى تلك الليلة الاولى يرين على نفسى الاسى لما رأيته من لياقتها وثباتها مع زوجها بلا مبالاة او تكلف شأن من حذقت هذا الموقف بالتكرار والمثابرة ، كذلك عدت كل يوم الى بيتى

www.ibtesamh.com/vb

واليقين يملأ جوانحي بأنني لم اكن الا رجلا واحدا من كثرة من الرجال العشاق

كنت احب تلك المرأة حبا ملك على نفسي ، حتى انني ما من مرة استيقظت في الليل الا ووجدت ذكراها عالقة بفكري ، فأهجر النوم ومع هذا لم استطع ان اثق واشعر باليقين الكامل، كنت اراها فأطمئن وأشعر بالانتفاخ وتضخم شخصيتي الى حد الزهو والخيلاء ، ولكني حين انفرد بنفسي لا اجد وجهها او عينيها انظر فيهما ، بل اجد مرآتي اتطلع فيها الى الشك في صورة وجه سرت اليه الغضون وساق يشينها العرج ، فلماذا تحبني انا من دون الناس ؟

ان هناك مناسبات كثيرة كان يحول دون لقائنا ارتباطها بموعد عند طبيب الاسنان او الحلاق ، او لان هنري دعا الى البيت نفرا من الضيوف ، او غير ذلك انها على الاقل تستطيع ان تخونني مع من تشاء او حتى هنري !

اجل كنت بأنانية العاشق اعتبر كل شيء يربطها برجل سواي خيانة ، ملغيا كل واجب يربطها حتى بزوجها ، وهل كنت أتصورها عاجزة عن الخيانة في اي وقت ، وبعد ان عدت الى بيتي ونفسي يملؤها الاسى والشك نمت نوما مضطربا ، ثم استيقظت وطعم الاسى يفيض على لساني من تحذيرها السابق لي بما في صرير درج السلم من انذار كاف عند الخطر ، وبعد ثلاث دقائق رن صوتها في التليفون فبدد ذلك الشعور القاتم تمام التبديد ، ولم اعرف في حياتي امرأة قبلها او بعدها لها مثل قدرتها على تغيير الموقف تغييرا كليا مع كل ما يتصل به من مشاعر نفسية ، وذلك بمجرد كلمة بالتليفون او لمسة من يدها على ذراعي فتخلق على الفور حالة من الثقة المطلقة يتلاشى معها كل شعور بالانفصال بيني وبينها

ـ هالو ، هل انت نائم ؟

ـ كلا ، متى استطيع ان اراك ؟ هذا الصباح ؟

ـ هنري مصاب ببرد وسيبقى اليوم بالبيت

ـ لو استطعت الحضور الى هنا برهة ..

ـ بل يجب ان ابقى لارد على التليفون

ـ ولماذا لايرد هو ؟

www.ibtesamh.com/vb

والحقيقة إننى كنت اشعر فى الليلة الماضية ، عندما رايت هنرى يدخل علينا ، بميل اليه ، اما الآن فقد اصبح خصما اتهكم به واسخر منه

ـ ان صوته مبحوح تماما ومحتبس

فشعرت بلذة خبيثة ، وتمثل لى هذا الموظف المبحوح الصوت يدمدم بجهد لا جدوى منه عن معاشات الارامل امام لجنة وزارية او برلمانية

ـ الا من وسيلة لاراك حالا بأى شكل ؟

ـ طبعا

وسكتت بعدها لحظة حتى حسبت ان الاتصال التليفونى انقطع . ولكنها فى الواقع كانت تفكر بطريقتها الخاصة الدقيقة الملهمة فى التدبير والتوفيق ، بحيث يأتى جوابها فى هذه المسائل دائما غاية فى الدقة والامان

ـ سأقدم الى هنرى صينية غذاء ساخن فى فراشه فى الواحدة تماما ، ونستطيع نحن أن نتناول الساندوتشات وحدنا فى حجرة جلوسى ، وسأقول له انك تريد التحدث الى لاستشارتى فى قصة فيلم لك

وبمجرد ان وضعت السماعة وانقطع صوتها عنى انقطعت الثقة . كان اول خاطر ملأ راسى هو كم من مرة يا ترى دبرت من قبل الاجتماع بعشاقها وزوجها فى البيت بهذه المهارة والثقة والدربة ؟

ولما طرقت باب البيت كنت اشعر كأننى مخبر يتجسس عليها ليتسقط حركاتها وكلماتها ، كما سيذهب باركيس وابنه يقتفيان اثرها بعد سنوات ، ولكن ما ان انفتح الباب وبدت لى فى فرجته حتى عادت الثقة التامة الى

ولما ضمتنا حجرة جلوسها ، بدت غاية فى الطمأنينة ، وهى تهمس لى انه فى فراشه . .

وبعد برهة لم تفارقها فيها طمأنينتها الكاملة كأننا وحدنا فى صحراء ، وليس لها زوج فى الحجرة التى تعلونا مباشرة ، سمعنا درج السلم يحذرنا بصريره ، فلبثنا جامدين لحظة ، وكانت الساندوتشات فى طبقها لم تمس ، وكذلك ساندوتشاتى فى طبقى ،

www.ibtesamh.com/vb

وقد استقر الطبقان على المائدة الصغيرة وبجانبهما كأسان فارغان لم يمتلآ بعد ، وبسرعة البرق همست :

ـ انه يهبط

ثم استقرت فى مقعد بصورة طبيعية جدا ، واسرعت اضع فى حجرها طبقها وامد الى يدها كأسا ، ثم جلسنا متقابلين نصغى فى صمت الى ان سمعنا صرير درج السلم مرة اخرى

ـ لقد عاد الى الصعود من الطابق السفلى ، ولعله هبط بالصينية الفارغة . .

ـ الحقيقة ان هذا المنظر الخاص بطبق البصل اعجبنى

وبطبيعة الحال كان صوتها فى الجملة الاخيرة مرتفعا بلهجة الحوار المعتاد البرىء ، وفى هذه اللحظة دفع هنرى الباب واطل برأسه :

ـ مرحبا بك يا بندركس

وكانت فى يده قربة من المطاط بها ماء ساخن مكسوة بقماش الفانلة الرمادى ، فبادرته سارة بقولها :

ـ ما كان ينبغى ان تنزل بنفسك لاحضار هذا الماء

ـ لم ارد ان ازعج عليكما جلستكما

ـ لقد كنا نتحدث عن فيلمه الذى شهدناه امس

ـ لماذا احضرت له هذا الشيرى ؟ احضرى له شيئا من ١٩٢٩ ، فهو اجود من هذا بكثير

ثم تركنا وحدنا واغلق الباب ، فقلت لها من غير تفكير :

ـ هل ضايقك هذا ؟

فهزت رأسها سلبا ، والحقيقة انى ظننت دخول هنرى علينا فى تلك اللحظة بالذات سيثير لديها شيئا من الندم . ولكنها فى الحقيقة كانت تتمتع بقدرة فائقة على نفى الندم عن وجدانها نفيا كاملا ، فهى مخلوق فطرى وثنى مجرد من اى شعور بالاثم ، فاى عمل ينتهى فى اعتبارها بمجرد انتهائه ، ولا يمكن ان يترتب عليه ندم او غير ذلك من التقييمات الاخلاقية

▭

ولئن كنت فى كتابى هذا اضطرب بين الماضى والحاضر ، فذلك لاننى وانا اكتب اشعر اننى كالمسافر فى ارض مجهولة غريبة وليس معى خريطة ، ولكم ان تصدقوا او لا تصدقوا اننى وثقت بكلامها ذلك

www.ibtesamh.com/vb

العصر حين قالت لى بطريقتها الطبيعية المستقيمة بعد انصراف زوجها عنا :

ـ انى لم احب فى حياتى كلها من قبل شخصا او شيئا كما احبك

وكان فى يدها بقية من ساندوتش لم تتمه ، فخيل الى انها تسلم لى نفسها روحا وبدنا من غير تحفظ ، ورأيت كل انملة فى جسمى تختلج بصدى هذا التصريح ولم يساورنى شك فى انه تصريح لايربطنا بلحظة من لحظات الزمن بل يصل بيننا وبين الابدية ؛ ولم يخطر لى فى ذلك الحين ان اعلن اى اهمية على اى عدد من الرجال اتصلوا بها من قبلى ، كما كنت مشغولا بذلك طول ليلتى وطول صباحى الى ان طرقت بابها ، بلْ خيل الى ان المستقبل نفسه لا يمكن ان تكون له اهمية لو قدر لها ان تعرف فيه رجالا سواى ، وتحققت فى نفسى كيف ان الابدية شيء غير الزمن ، فهى ليست زمنا ممطوطا بل هى حالة يختفى منها الزمن اختفاء تاما

أجل احسست أن هذا الاعتراف منها لن ينقض صداقة اتصالها بألف رجلْ قبلى وألف بعدى ، فالذى بينى وبينها شيء من نوع آخر لن يناله احد ولم ينله من قبل احد

بلْ انى احسست بشيء من الهول والرهبة لما اكتشفته فيها من قدرة خارقة على الحب ، اضخم بكثير من قدرتى ، لانها كانت تحبنى بلا تحفظ واما انا فكان فى رأسى هذا المحقق المدقق المستريب الذى لايريد ان ينام وان استطاعت فى لحظات اجتماعنا ان تلقى فوقه بقناع يحجبه عن بصرى فأشعر بنفسى فى تلك اللحظات وقد خلصت اليها حتى من ذات نفسى

www.ibtesamh.com/vb

« ودخل بنفركس وفى يده قربة بها ماء ساخن »

www.ibtesamh.com/vb

الفصل التاسع

الغيرة

كنت فى فترة حبنا مخبرا يتسقط الأدلة على جريمة لم تقع بعد ! فلما انقضت هذه السنوات السبع وفضضت الخطاب الذى يتضمن تقرير باركيس الجديد قفزت الى ذاكرتى كل المرارة القديمة ، لتضيف وزنا وأهمية الى سطوره ...

وكان خطاب باركيس على هذا النحو :

« سيدى العزيز

« يسرنى اننى استطعت أنا وولدى ان نعقد صلة مع الخادم فى رقم ١٧ وأتاح لنا ذلك مزيدا من السرعة فى اتمام مهمتنا ، اذ تمكنت من هذا الطريق أن أطلع على كراسة مواعيد « السيدة » ، وان أفحص سلة مهملات مكتبها . ومن هذه السلة أرسل لك ياسيدى الورقة المرفقة بهذا برجاء الاطلاع عليها واعادتها مع ملاحظاتكم . وعلمت كذلك ان « السيدة » تكتب مذكراتها ، وان هذه عادتها منذ سنوات مضت بيد أن الخادم لم تصل يدها الى هذه المذكرات الى الآن لأن السيدة تحتفظ بها فى درج مقفل بالمفتاح مما يدل على أهميتها القصوى لديها . ولاحظت أيضا أن السيدة كثيرا ماتخلف كثيرا من مواعيدها المثبتة فى كراسة مواعيدها . »

ان هذا الرجل مكلف بضبط سارة متلبسة قدر الامكان بالخيانة. ولكن لماذا كلفته انا بذلك ؟ الكى أولم شعور هنرى أم لاوذى شعورى انا ؟ انى أشعر كما لو كنت قد سمحت لهرج أن يتدخل بعيشه فى صميم خلوتنا وداخلية وجداننا

وجاء فى التقرير المفصل بعد ذلك انها أخلفت موعدين مع طبيب الاسنان ومع الخياطة . ثم قلبت الخطاب ورايت قصاصة بخط

www.ibtesamh.com/vb

سارة الذى لم أكن أتوقع ان اتذكره بهذه السهولة بعد سنتين تقريبا ... وقرأت فيها مايلى :

ـ لا حاجة بى الى أن أتحدث اليك أو أكتب اليك ، فأنت تعرف كل شيء قبل أن افتح فمى واقوله ولكن عندما يحب المرء يحس بحاجته الى استخدام الوسائل القديمة التى درج عليها . انى أعلم انني « بدأت أحب » . ولكن حتى فى هذه البداية اشعر برغبة فى التخلى عن كل شيء وعن كل انسان عداك انت. ولا يمنعنى من ذلك الا الخوف ، والعادة . عزيزى ...

ووقف بها القلم عند تلك الكلمة . وجعلت السطور تحملق فى عينى . وعجبت فى نفسى كيف انى نسيت بهذه السرعة كل سطر من الرسائل التى بعثتها الى يوما ما .. الم أكن حريا ان احتفظ بها جميعا لو انها كانت تفيض بالحب على هذا النحو ؟ انها كانت تخشى ان احتفظ بها ، لهذا كانت تصر على الاسلوب الرمزى للكفاية فى تلك الرسائل ، أما هذا الحب الذى تتحدث عنه هذه القصاصة فأقوى من قيود الكلمات والسطور والخيطة ...

وكتبت تحت القصاصة :

ـ لا تعليق ..

ثم وقعت بامضائى واعدت القصاصة الى باركيس كما طلب ليحتفظ بها فى الارشيف

▭

لماذا لاتقضى الكراهية على الرغبة ؟

انى كنت مستعدا أن ادفع أى ثمن لاحصل على النعاس . وكنت مستعدا أن أفعل مايفعله غلمان المدارس لو انى اقتنعت بجدوى بديل من الشيء الحقيقى المرغوب . ولكنى جربت ذلك من قبل ، ووجدته بغير طائل ...

انى رجل غيور ...

وانها لعبارة تبدو بلهاء ، فى كتاب يبدو سجلا طويلا للغيرة : للغيرة من هنرى ، والغيرة من سارة ، والغيرة من ذلك الثالث الذى يبدو باركيس مجدا فى تعقب آثاره والكشف عنه

أما وقد انقضى الماضى ، فأنا لا استعيد غيرتى من هنرى الا حينما تعود الذكريات الى الحياة فى ذهنى ... فعندئذ لا أستطيع أن

www.ibtesamh.com/vb

امحو من رأسي انني لو كنت زوجها لكنا حريين أن نسعد معا مدى الحياة ... ولكن غيرتي الحادة الماثلة هي غيرتي من ذلك الثالث . من غريمي ومنافسي ... وهي كلمة سمجة تقصر عن التعبير الصحيح عما يتمتع به المنافس من نجاح وانتصار ...

واحيانا يخطر لي انه ربما لا يدرك وجودي ولا يشعر بي كعنصر من عناصر الصورة ، وتساورني الرغبة أن أستلفت نظره الى وجودي ، واصرخ في أذنه :

ـ انك لا يمكن ان تتجاهلني مهما حدث فان سارة كانت تحبني في زمن ما ...

وكثيرا ما كانت تحدث بيني وبين ساره فيما مضى مناقشات حادة حول الغيرة . وكنت غيورا حتى من الماضي ، وذلك الماضي الذي كانت تحدثني عنه كلما جاءت مناسبة بكل صراحة ... وما فيه من غراميات وعلاقات لا معنى لها ولا وزن مطلقا . وكانت شديدة الولاء لعشاقها كولائها لهنري . وكان معنى هذا انها ستكون على الولاء لي أيضا . بيد أن هذا الشعور كان يثيرني بدلا من أن يسرني ! وكانت أحيانا تضحك من غضبي هذا . وترفض أن تصدق أنه حقيقي ، كما كانت ترفض أن تصدق انها جميلة ... اما أنا فكنت أغضب أيضا لانها تأبى أن تشعر بالغيرة من ماضي حياتي أو من مستقبل أيامي . ولم أصدق أن الحب يمكن أن تكون له صورة خلاف صورته عندي . وكنت أقيس الحب بمدى غيرتي .. وبهذا المقياس يتضح طبعا انها لم تكن تحبني مطلقا

وكانت المناقشة بيننا تتخذ دائما صيغة واحدة . ولهذا سأسرد هنا منظرا واحدا من مناظر هذه المناقشات ، انتهى نهايته بلهاء ... ويساورني الآن الشك وانا اسطر هذه الكلمات انها ربما كانت على حق ...

واتذكر انني قلت لها بغضب :

ـ ان عدم غيرتك أثر من آثار جمودك الحسي السابق . فالمرأة الجامدة الحس لا يمكن أن تشعر بالغيرة الحقيقية ...

فأجابتني بكل هدوء :

ـ ربما كنت على حق .. كل ما أريد أن اقوله لك اني لا ابغي

www.ibtesamh.com/vb

شيئا سوى سعادتك . واكره الا تكون سعيدا . ولهذا لا اهتم بشيء لا يسعدك

ـ انك فى الواقع تبحثين عن عذر لنفسك ... لانى اذا خنتك مع امراة أخرى ، كان هذا عذرا لك كى تخونينى مع رجل آخر ..

ـ هذا كلام لا هنا ولا هناك . كل مافى الامر انى اريد سعادتك ان عدم الثقة أو عدم الاطمئنان هو انكد شعور ينتاب العاشقين. حتى أن الزواج الخالى من العاطفة والرغبة قد يبدو خيرا من مثل هذا الحب !

وبدأت بعد هذه المناقشة أحصى عليها الحركات والسكنات واسجل عليها أكاذيبها الصغيرة ومراوغاتها التى لم يكن لها معنى فى الواقع سوى خوفها على . ولكنى كنت أجسم كل اكذوبة من هذه الاكاذيب حتى اجعلها خيانة . ثم انتقلت الى التأويل ، فصرت أجد فى اصرح عباراتها واوضحها معانى خفية !

ولأنى لم أكن اطيق حتى مجرد فكرة صداقتها لرجل آخر ، كانت هذه الفكرة لاتفتأ تزعجنى ، واخاف طول الوقت ان تحدث .. وبت أتخيل التواطؤ فى كل حركة عرضية من يدها ...

وسألتنى سارة يوما :

ألا تشعر بمثل شعورى ؟

ـ أى شعور ؟

ـ ألست تفضل سعادتى على شقائى ؟

ـ هاها ! بل افضل أن اموت او ان أراك ميتة على ان اراك مع رجل آخر . انى لست من أهل الشذوذ . فهذا هو الشعور الانسانى العادى للمحبين . اسألى اى انسان . وسيقول لك ذلك فالعاشق لابد أن يغار ...

وكنا عندئذ فى حجرتى فى عصر يوم من أواخر ايام الربيع ... فاذا خلوتنا الغرامية تتطور بعد هذا الحوار الى شجار وخصام.. فجلست على طرف الفراش وقالت بدعة :

ـ آسفة . لم اقصد أن اغضبك ... واظنك على حق

ولكنى لم أتراجع عن غضبى لانى كرهتها عندئذ . كرهتها لأنى كنت ميالا الى الاعتقاد بأنها لاتحبنى .. حتى أردت ان اطردها من كيانى ...

www.ibtesamh.com/vb

وانى لأتساءل الآن ما الذى اخذته حينئذ عليها سواء احبتنى أم لا ؟ انها كانت على خير ألولاء لى أكثر من سنة حتى ذلك التاريخ ، وكانت تتغاضى عن سورات غضبى وتقلب مزاجى ، وماذا اعطيتها انا مقابل ذلك كله

لقد أقدمت على هذا الغرام مفتوح العينين ، موقنا انه لابد صائر يوما من الايام الى انقضاء . ومع هذا حين بدأ الشك يعذبنى ، رحت استعجل النهاية ، واجتهد ان استحث خطوات المستقبل ، ليأتى ذلك اليوم المحتوم فيطرق على الفور بابى ، ضيفا مرهوبا بغيضا حل قبل الأوان !

.... وقلت لها مستطردا فى الجدل :

ـ لاشك انك تغارين على هنرى ...

ـ مستحيل ...! كم هذا مضحك !

ـ ... حتى لو رأيت زواجك مهددا ...

ـ لن يكون مهددا !

واعتبرت ردها هذا كانه اهانة لى ، فقمت من فورى واجتزت الحجرة ، وهبطت السلالم الى الشارع ...

أهى النهاية ؟

كنت أريد أن أطردها من كيانى بأى ثمن . وفكرت أن أنشد زواجا يقوم على الصداقة ، يستمر رتيبا هادئا ما استمرت الحياة. وفى هذه الحالة سوف لا تعذبنى الغيرة ، لانى أحب حبا من العمق والضخامة بحيث يسلمنى الى الغيرة ... فدواء الغيرة الوحيد هو الاقلاع عن الحب ... وبهذا اظل على شاطىء الامان ...

وهكذا سارت الحسرات والكراهية معى يدا فى يد تحت جنح الظلام فى الحديقة العامة الطويلة ... كما يسير المجانين بلا حراس !

▭

عندما بدأت اكتب هذه الرواية ، قلت عنها انها قصة كراهية . ولكنى لست مقتنعا الآن بذلك . ولعل كراهيتى بلغت من العمق مبلغ حبى ...

وها انا ارفع رأسى الآن عن الورق وانظر فى المرآة المواجهة لمكتبى . انى ارى وجهى واتساءل : هل تبدو الكراهية حقا بهذه الصورة ؟

www.ibtesamh.com/vb

ولابد ان هذه المناقشة الحامية التى انتهت بخروجى غاضبا حدثت فى مايو سنة ١٩٤٠ ... وكانت الفترة الأولى من الحرب قد ساعدتنا بمواعيدها وقيودها ، وفى الوقت نفسه لم تكن الغارات الجوية قد بدأت ، ولا العمليات العنيفة فى الجبهة . لهذا كانت نظرتنا الى الحرب عندئذ انها شريك متواطىء مع غرامنا ، بحيث يشغل عنا هنرى أطول مدة ممكنة فى الوزارة التى نقلوه اليها فى بداية الحرب وهى وزارة الامن الداخلى . وكذلك دفعت اجراءات الوقاية بربة الدار فى مسكنى الى الاقامة فى البدروم ، بحيث لم تعد قادرة على تبين شخصيات كل داخل وخارج ... وأما أنا شخصيا فتولت ساقى العرجاء هذه المرة أيضا حمايتى من خط النار . وان كنت تطوعت من باب اللياقة فى الوقاية المدنية من الغارات الجوية ... وفيما عدا ذلك لم يتغير شىء على الاطلاق من نمط حياتى بسبب الحرب ...

وفى ذلك المساء اشتد سخطى وشكى فى أمر ساره عندما وصلت الى بيكاديلى ... واستولت على رغبة جامحة فى ايذاء سارة بأى صورة ، فخطر لى أن التقط من فتيات الطريق احداهن فاذهب بها الى حجرتى نكاية فى سارة ، وكأننى أوذيها حين أوذى نفسى بهذا العمل الوضيع

وكانت الظلمة سائدة والهدوء شاملا فى الطرقات ، بحيث لايتبين المرء الوجوه الا اذا لمعت فوقها انوار مصابيح الجيب .. ولمحت مصابيح بضع فتيات على الجانب الآخر من الطريق من شارع ساكفيل . ووجدت نفسى افكر ماذا تصنع سارة الآن . هل عادت الى بيتها أم هى لم تزل فى الانتظار فى حجرتى عسى أن أعود ؟

واقتربت منى احداهن ، واضاءت مصباح جيبها لترينى وجهها ، فرأيت فتاة غضة الاهاب فى مقتبل الصبا ، سمراء اللون ، لم تفسدها بعد حياتها المضنية ... كالحيوان الذى لم يتبين بعد حقيقة اسره . فقلت لها :

ـ ألك فى كأس من الشراب ؟

ـ وهل تأتى معى الى البيت بعد ذلك ؟

ـ نعم ....

ـ أذن يسرنى أن اتناول كأسا سريعة ...

ودخلنا حانة على ناصية الشارع وطلبت كأسين من الويسكى .

www.ibtesamh.com/vb

وفيما هي تحسو كأسها تأملت وجهها ، ولم استطع أن أغالط نفسي واحسبها بديلة عن سارة

أجل انها أصغر من سارة بكثير . كانت لاتتجاوز التاسعة عشرة . واجمل منها ، واقل عطبا ... ربما لانه ليس لديها مايعطبه ... ليس لديها روح !

وأدركت في أعماقي أن لا رغبة لي في صحبتها اكثر من رغبتي في صحبة قط أو كلب ! وفي هذه الاثناء كانت تلقي على سمعي وصف مسكنها الانيق في الطابق الاخير من بيت لا يبعد كثيرا عن الحانة ... وكم يبلغ ايجاره ، وكيف وفقت اليه ... وانها لاتذهب الى هناك مع اي عابر سبيل ... ولكنها عرفت من طريقتي في الكلام اني رجل فاضل !

ونظرت اليها من فوق الكأس وانا اعجب كيف تغيرت بي الحال، وكيف تمكن غرامي بسارة أن يقضي على كل صلة لي بالنساء من هذا القبيل الحسي البهيمي المحض . فكأني نضجت في رحاب غرامها ... وصار من المستحيل بعد ذلك ان أجد أي سرور في صحبة امرأة لا يربطني بها الحب

ومع هذا لم يكن الحب هو الذي دفع بي الى هذه الحانة في تلك الساعة . لاني كنت لا انفك أكرر على نفسي وانا سائر في الحديقة العامة وفي الشارع انها الكراهية هي التي تسيطر على حياتي وتلون صلتي الوبيلة بسارة ... واني لا أريد شيئا في الحياة سوى طردها من حياتي وكياني الى الابد ... حتى لقد ذهب بي الفكر الى تمني موتها ، اعتقادا مني انها ان ماتت تمكنت من نسيانها ...

... وغادرت الحانة وليس في رأسي الا خاطر واحد مع ذلك ، هو ان أطلب حجرتي بالتلفون ، ، لارى هل سارة لم تزل هناك أم لا

خرجت الى الشارع ، بعد أن تركت ورقة من ذات الجنيه على المائدة ، ترضية لكرامة تلك الفتاة الساذجة الحسناء ، واسرعت الخطى الى أقرب كشك للتلفون . ولم يكن في جيبي مصباحي الكهربائي ، فرحت أشعل عود ثقاب وراء عود ثقاب الى أن تمكنت من ادارة أرقام حجرتي . وراح الجرس يرن في الناحية الاخرى ، وانا أعرف تماما موضع التلفون فوق مكتبي ، واعرف بالضبط كم من الوقت تستغرقه سارة في الوصول اليه ان كانت جالسة في مقعد أو راقدة على الفراش ... ومع هذا كله تركت نفسي متعلقا بوهم

www.ibtesamh.com/vb

كاذب أكثر من نصف دقيقة وانا اسمع رنين الجرس فى حجرتى الخاوية
وبعد ذلك طلبت رقم منزلها ، وردت الخادم فقالت ان سيدتها لم ترجع الى البيت بعد ، وتصورتها تسير وحدها فى حلكة الاظلام العام فى الحديقة المقفرة غير المأمونة فى تلك الساعة . وتطلعت الى ساعتى وعرفت اننى لم أكن مغفلا أحمق اذ كان أمامنا الآن أكثر من ثلاث ساعات نقضيها فى خير حال معا

وعدت الى البيت . وحاولت ان اقرأ فى كتاب . ولكنى فى الواقع كنت معلق الذهن طول الوقت بجرس التلفون الذى لم يستجب لرجائى بدقاته تلك الليلة . ومنعنى كبريائى أن أطلبها مرة أخرى

وتناولت جرعة منومة ، ثم اويت الى فراشى . فكان أول شىء تنبهت له فى الصباح هو صوت سارة فى التلفون تتحدث الى كأن شيئا لم يحدث !

وسادت الطمأنينة نفسى ، ولكن ريثما وضعت المسماع ، واذا بذلك الشيطان الخبيث الرابض فى رأسى ينشط الى الاعيبه موسوسا لى :

ـ أليس معنى هذا ان ضياع ساعات الهوى الثلاث بالامس لا يعنى لديها شيئا ؟.. الا يعنى ذلك ان حبك هين عليها ؟

www.ibtesamh.com/vb

الفصل العاشر

أين كانت سارة ؟

« هذا الشيطان الخبيث القديم . هاهو باركيس فيما يبدو قد زوده أخيرا بدليل دامغ .. واستطاع فى تقريره الجديد أن يخبرنى أين كانت سارة تقضى الكثير من وقتها حين تخلف مواعيدها . واستطاع فضلا عن هذا أن يثبت ان الزيارات لذلك العنوان المعين كانت متواترة ، ومختلسة ...

ولابد لى من الاقرار هنا ان باركيس أثبت فى النهاية انه مخبر دقيق ناجح . اذ وفق بمساعدة ابنه الى استدراج خادمة آل مايلز (هترى وسارة مايلز) الى الخارج فى الوقت الذى كانت فيه ساره تعبر الطريق فى شارع سيدار نحو رقم ١٦ وكان اليوم يوم عطلة الخادمة الاسبوعية . فكان طبيعيا ان تقف ساره وتكلم خادمتها التى بادرت بتقديم الفتى باركيس اللطيف اليها . وبعد ذلك استأنفت ساره سيرها ودخلت أول منعطف حيث كان باركيس الاب فى الانتظار فرآها تمشى قليلا ثم تعود ادراجها . ولما رأت ان خادمتها والغلام اختفيا عن ناظريها رنت الجرس فى رقم ١٦ وعلى الفور شرع باركيس يتحرى عن سكان هذا البيت . فوجده مقسما الى ثلاثة طوابق لكل طابق منها جرسه الخاص عند الباب الخارجى . ووعد باركيس فى تقريره ان يوافينى بالنتيجة المحددة فى مدى ايام

وكل ما كان عليه ان يفعله بعد ذلك للوصول الى نتيجة هو ان يسبقها فى الموعد التالى للزيارة بدقيقتين . ويضع شيئا من الذرور « البودرة » على الازرار الثلاثة . وهذا ما بينه فى تقريره عن خطته . ثم عقب عليها بقوله

ـ وبعد تحديد الطابق الذى تزوره السيدة يقينا . سيكون من

www.ibtesamh.com/vb

الضرورى اذا لزم ضبط الواقعة كمستند قضائى ان يقتفى أثرها بعد فترة كافية من دخولها الى داخل الطابق المعين ، ومعى شاهد آخر . للزوم شاهدين اثنين فى مثل هذه القضايا . ويكفى لاثبات التلبس وجود اضطراب فى ارتداء الثياب ...

حقا ان الكراهية تشبه جدا الرغبة الحسية . فلها ازمتها الحادة التى تعقبها فترة من الهدوء والركود !

يالسارة المسكينة ! ان اللحظة التى قرأت فيها تقرير باركيس كانت نهاية أزمة كراهيتى . لقد بدأت أشعر بالاكتفاء والرضى . وأمكننى أن اشعر بالاسف لها والفخ يطبق عليها . انها لم تقترف شيئا سوى انها أحبت . ولا تدرى ان باركيس يتعقبها عن كثب . وان ابنه يتآمر مع خادمتها ، وهناك أيضا تدبير تلك الخطة للاطباق عليها ..

وخطر لى ان أمزق التقرير واذب عنها الجواسيس . ولكنى قبل أن أفعل تذكرت موقف هنرى وقد اصبح رئيس لجنة وزارية وسلطت عليه الاضواء فى مجهودات الدفاع المدنى . فجلست وكتبت اليه خطابا انبئه اننى حصلت على شىء مهم أحب ان اتناقش فيه معه . ودعوته للغذاء فى نادى الكتاب . وتركت له ان يختار أى يوم من أيام الاسبوع القادم . وما ان وصل خطابى اليه حتى طلبنى بالتليفون واقترح أن أتناول أنا الغذاء معه فى ناديه متعللا بأن الخمر فيه جيدة . مع ان السبب الحقيقى انه يضيق بأى جميل يسدى اليه مهما كان تافها . فأغضبتنى تلك الطريقة حتى انه اذعن أخيرا وحدد يوم السبت وهو يوم يكون نادينا مقفرا فيه تقريبا والطعام لهذا السبب غير فاخر أو مرتفع الثمن

واثناء الطعام لم نتحدث فى شىء ذى بال . لانه تكلم عن أعمال اللجنة الوزارية التى يرأسها . وبعد أن تناولنا القهوة جلسنا فى صالون منفرد بقرب النار فوق أريكة وثيرة سوداء محشوة بشعر الخيل . وقلت له :

ـ كيف حال سارة ؟

ـ بخير ..

ـ أما زلت قلقا عليها ؟

www.ibtesamh.com/vb

ـ قلقا ؟..
ـ كنت قلقا . وبحت لى بذلك
ـ لا أذكر . انها الآن بخير
وكأنه يتحدث عن صحتها البدنية فحسب فقلت :
ـ هل استشرت في أمرها ذلك المخبر ؟
ـ كنت أمنى نفسى أنك نسيت المسألة . فانى لم أكن على مايرام. ولعله الاجهاد . كانت أعمال اللجنة ...
ـ أتذكر اننى عرضت عليك أن أقابله نيابة عنك ؟
ـ لابد اننا نحن الاثنين كنا مجهدين جدا ...
وراح يقلب عينيه فى رؤوس الهياكل المحنطة المعلقة على الجدران محاولا ان يقرأ اسماء من اهدوها . ثم استطرد ببلاهة :
ـ يبدو أن لديكم هنا مجموعة كبيرة من الرؤوس
ولم يكن فى نيتى أن أدعه يفلت بهذه السهولة ، فقلت متجاهلا :
ـ لقد ذهبت وقابلته بعد ذلك بأيام قلائل
ـ لم يكن لك يابندركس أى حق بالمرة ...
ـ لقد تحملت على نفقتى جميع المصاريف
ـ يا لها من صفاقة ...
ووقف كمن يريد الانصراف ولكنى كنت قد وضعته فى ركن بحيث لا يمكنه الافلات الا بعمل عنيف . ولم يكن العنف من طبع هنرى ...
ـ أما كنت تحب أن تبرىء ساحتها ؟
ـ لم يكن هناك ما يحتاج الى تبرئة ، دعنى أمضى من فضلك
ـ أظن انه ينبغى أن تقرأ التقارير
ـ ليس عندى أى نية ...
ـ اذن أظن أننى سأضطر أن أقرأ لك بنفسى مايتصل الزيارات المريبة المختلسة . أما قصاصة الخطاب الغرامى فقد أعدتها الى أرشيف المخبر . يا عزيزى هنرى انك كنت ضحية ، ضحية خديعة
وخيل الى لحظة انه سيضربنى . ولو فعل لرددت له الضرب بكل تلذذ . ولكن فى هذه اللحظة دخل علينا سكرتير النادى وهو شخص ذو لحية طويلة بيضاء وصدار مغطى ببقع الحساء . يبدو

www.ibtesamh.com/vb

منظره مثل شعراء العصر الفيكتورى . وكان قد اشتهر سنة١٩١٢ بكتاب ألفه عن الكلاب عنوانه « كلاب فى حياتى » وعرفته بهنرى حتى اذا انصرف كانت الازمة قد انتهت . وبادر هنرى يقول لى :

ــ والآن . اعطنى من فضلك التقارير ودعنى انصرف

وأظنه كان يفكر فى الموقف طيلة اللحظات التى قضاها سكرتير النادى معنا . فقدمت اليه التقرير الاخير واذا به يلقى به الى النار ويدسه فى اللهب بقضيب المدفأة ، ولا استطيع أن انكر انه فعل ذلك فى هيبة ملحوظة . وسألته :

ــ والآن ؟ ماذا انت مزمع ان تفعل ؟

ــ لا شىء ..

ــ انك تخلصت من التقرير .

ــ هذا ما فعلته

ــ ولكنك لم تتخلص بهذا من الوقائع

ــ فلتذهب الوقائع الى الجحيم

ولا أظننى سمعت هنرى يستعمل هذه اللهجة الشديدة النابية من قبل . فأمعنت فى اغاظته قائلا :

ــ فى الوسع دائما أن أزودك بنسخة للتقرير بالكاربون

فقال هنرى باصرار :

ــ والآن اتسمح لى بالانصراف ؟

وبهذه الكلمة انتهت تماما أزمة الكراهية بعد أن وصلت بى الى قمة التلذذ وشعرت بالتخلص من السم الذى كان يسرى فى سريرتى . ورفعت ساقى من طريقه ، وتركته يمر . فانصرف من النادى لا يلوى على شىء ، ناسيا قبعته السوداء المستديرة الفخمة التى لم يكن يفارقها أبدا !

▭

وخطر لى أننى سأدركه ، أو على الاقل سأجده فى دائرة نظرى ، اذا سرت فى اتجاه مبنى الوزارة فى هوايت هول . ولهذا حملت فى يدى قبعته . بيد أنى لم أعثر له على أثر وانا ادور ببصرى . فعدت ادراجى وأنا لا أدرى أين ذهب . وأسوأ ما فى الامر ان الوقت امامى كان يبدو فارغا لا أجد ما أملأه به . فوقفت قرب محطة المترو فى تشيرنج كروس أتطلع الى واجهة مكتبة صغيرة هناك . وأتساءل

www.ibtesamh.com/vb

ماذا عسى سارة أن تفعل الآن . ولعلها فى هذه اللحظة لمست بيدها الزر المغطى بالذرور فى رقم ١٦ بشارع سيدار . ومستر باركيس كامن لها بحيث يرى حركاتها . وشعرت أننى وهنرى حليفان. ولكن ضد مجرى الحوادث

وعبرت الطريق ثم دخلت حدائق فيكتوريا . وكانت المقاعد هناك غير مكتظة . فقل من يحبون الجلوس فى العراء تحت رحمة هذا الهواء القاتم العاصف . وعلى الفور رأيت هنرى جالسا بمعزل ولكنى لم أتبينه الا بعد وهلة . فمن الصعب التعرف عليه فى العراء وهو بغير قبعته . لانه يختلط حينئذ بغيره من الناس الذين ليس لهم ما يميزهم ، فهم من العامة زبائن الحديقة المستديمة ، مثل هذا الرجل العجوز الذى يطعم كل يوم العصافير . وتلك المرأة التى تحمل دائما كيسا من الورق البنى به حوائجها

كان هنرى جالسا وقد أحنى رأسه يحدق فى حذائه . وبدا لى غريبا أنى شعرت فى تلك اللحظة بالرحمة له . فقد سلخت زمنا لا أتحسر فيه الا على حالى . فكيف الآن أجدنى أتحسر على عدوى ؟

ووضعت قبعته بجانبه على المقعد بهدوء وكنت حريا أن أبتعد بعد ذلك لولا أنه رفع وجهه الى فأدركت أنه كان يبكى . ولا بد أنه ذهب بمشاعره وخواطره الى آفاق بعيدة ، لان الدموع تنتمى إلى عالم مختلف كل الاختلاف عن دنيا اللجان الوزارية . فقلت له :

ــ انى آسف يا هنرى !

فقال :

ــ اجلس

وقالها بسلطان الدموع المنحدرة من عينيه ، فأطعت الامر ، فقال :

ــ كنت أفكر فى الموضوع يا بندركس . خبرنى . هل كنتما عشيقين ؟

ــ ما الذى حدا بك أن تتخيل ذلك ...

ــ لان هذا هو التفسير الوحيد

ــ لا أدرى عم تتحدث ؟

ــ وهو أيضا التبرير الوحيد يا بندركس لما فعلت . الا تراه شيئا

www.ibtesamh.com/vb

فظيعا جدا ذلك الذى أقدمت عليه ؟

وكان يقلب القبعة بين اصابعه وهو يتكلم كأنه يتحقق من اسم الصانع

ــ أظنك يا بندركس تظننى مغفلا هائلا لانى لم أفطن الى الحقيقة فى حينها . ولكن لماذا لم تتركنى سارة ؟

ماذا ينتظر منى ؟ هل على أن أبصره بطباع زوجته ؟ لقد بدأ السم يعمل فى داخلى من جديد ، لهذا قلت له :

ــ ان لك دخلا طيبا ثابتا . ثم أنت عادة ألفتها . انك تمثل لها الامان والاستقرار

وكان يصغى لما أقول بكل جد واهتمام كأننى شاهد يدلى بشهادته أمام اللجنة بعد أن أدى اليمين القانونية . واستطردت بخبث :

ــ ثم انك لم تكن تضايقنا أكثر مما كنت تضايق أى واحد من عشاقها الآخرين . فلماذا تتركك وأنت مريح بلا خطر ؟

ــ وهل كان هناك آخرون أيضا ؟

ــ انى فى بعض الاحيان كنت أظنك تعرف كل شىء ولا تكترث . وفى احيان أخرى كنت أتحرق الى مكاشفتك بوضوح كما تفعل الآن ، بعد أن فات الاوان كثيرا . كنت أريد ان أصارحك برأيى فيك

ــ وما هو هذا الرأى ؟

ــ انك المخدوع الازلى تتخادع لها دائما على اختلاف من تخونك معهم من الرجال . لماذا لا تثور يا هنرى ؟

ــ لم أكن أعلم أبدا بشىء

ــ انك مخدوع حتى لجهالتك وغفلتك . مخدوع بجهلك كيف ينبغى أن تعاشرها وتحبها . ولهذا انطلقت تبحث عما ينقصها معك . تبحث عنه مع سواك . فكنت تتخادع بما تتيحه لها من الفرص ، وتتخادع بما تلقيها فيه من الملالة بصحبتك الضجرة ولهذا السبب يا هنرى تجدها الآن مع شخص ليس أبله ولا مضجرا ولا ثقيل الظل فى شارع سيدار

ــ ولماذا تركتك ؟

ــ لاننى بدأت أضجرها ، ولكنى لم أولد مغفلا مطبوعا يا هنرى . وضجرى لها أنت سببه . تمسكت بك وكنت اضجرها بغيرتى منك

www.ibtesamh.com/vb

وشكواى المتكررة من تمسكها بك ولهذا تركتنى وقد ملتنى كما ملتك أن الناس يحسنون الرأى فى كتبك

ـ وهذا لم يمنع أن أضجرها فتملنى . كما انك موظف ادارى من الطراز الاول ومع هذا ملتك . فما علاقة أعمالنا بحياتنا القلبية وما أهميتها ؟

ـ انى للأسف لا أعرف شيئا عدا العمل يمكن أن تكون له أهمية. ولطالما تعجبت فى نفسى يا بندركس لماذا انقطعت عن زيارتنا كل هذا الزمن

ـ لاننا كنا قد وصلنا على نحو ما الى نهاية الحب . فلم يعد أمامنا شيء آخر يمكن أن نصنعه معا . فحياتها موزعة بين شراء الطعام ثم طهوه فى المنزل والتشاؤب وانت فى صحبتها الى أن يغلبها النعاس ، وبين مقابلاتنا ...

ـ انها شديدة التعلق بك يا بندركس

كأنما من مهمة هذا الزوج أن يسرى عنى ويعزينى . وكأنما عيناى أنا هما المقرحتان بما ذرفته عيناه من دمع ثم قال :

ـ ان الاعزاز لا يكفى المرء يا هنرى

ـ كان كافيا لى أنا ...

ـ أما أنا فكنت أريد الحب وأريده ان يمضى قدما . لا يتوقف ولا يتمهل ولا يتضاءل أو ينكمش ...

ولم أكن حدثت أى انسان مطلقا بمثل هذه الصراحة ، ما عدا سارة . ولكن جواب هنرى لم يكن مثل جواب سارة . بل قال :

ـ ليس هذا مما يتفق والطبيعة البشرية . على المرء دائما أن يعرف حدا لرغباتنا يقنع به

ووجدتنى وأنا جالس بجوار هنرى فى حدائق فيكتوريا ارقب النهار يلفظ انفاسه ، وقد تذكرت كيف انتهى عهد غرامنا ...

▭

أجل لم يكن هـذا هو رأى سارة فى الحب . فانى أذكر جيـدا الكلمات التى كانت آخر ما سمعته منها وقد قدر لغرامنا أن يسدل عليه ستار الختام

www.ibtesamh.com/vb

كنت أضيء لها بمصباح الجيب طريقها بين الحطام المتناثر فى بهو منزلى حين قالت :

ـ لا ينبغى أن تجزع . فالحب ليست له نهاية . وليس معنى اننا لا نتقابل فى وقت من الاوقات ان حبنا لم يعد له وجود

كانت قد جمعت أمرها . وقررت أن تفارقنى ولكنى لم أفطن لذلك الا فى اليوم التالى عندما ظل التليفون لا يقدم لى الا مسماعا صامتا كأنه فم انسان وجدوه جثة هامدة . . . واستطردت فى ذلك اليوم تعزز رأيها فى الحب :

ـ يا عزيزى . ان الناس يثابرون على حبهم لله طول حياتهم من غير أن يروه مرة واحدة أليس كذلك ؟

ـ ليس حب الله من طراز حبنا

ـ اننى لا أعتقد بتنوع الحب

واظنه كان ينبغى أن أفطن فى تلك اللحظة الى انها بدأت تقع تحت تأثير شخص غريب . لانها لم تتحدث أبدا بهذه الطريقة فى الفترة الاولى من حبنا . لاننا كنا اتفقنا على الا ندخل موضوع الله فى أى حديث بيننا أو عنصر من عناصر دنيانا . وسمعتها تستطرد وأنا احرك ضوء المصباح لنسير بين الحطام :

ـ ان كل شىء ينبغى أن يكون على ما يرام ما دمنا نحب بما فيه الكفاية

وكان هشيم الزجاج من النوافذ يتكسر تحت أقدامنا . اذ لم يسلم الا الزجاج العتيق الذى كان فى أعلى الباب . وسمعتها تكرر كلمتها :

ـ لا تجزع . . . لا تجزع !

وأدركت أنها لا تشير الى تلك الاسلحة المهلكة التى تنهمر على الناس كالمطر . وكانت تلك الليلة هى أول ليلة من ليالى الغارات الكبرى على لندن . وذلك فى يونيه سنة ١٩٤٤ . وبعد فترة انقطعت عنا فيها الغارات حتى فقدنا تعودنا لها منذ ثلاث سنوات

ولما انطلقت صفارات الانذار فى تلك الليلة ظننا أن بضع طائرات أفلتت من نطاق دفاعنا الجوى . فلما مضت ساعة ولم تطلق صفارات الانذار الطويلة شعرت بشىء من التوجس . وأذكر أنى قلت لسارة :

www.ibtesamh.com/vb

ـ لا بد أن الصفارات تعطلت من قلة الاستعمال ...

وفى هذه اللحظة لمحنا الطائرات تنقض من فوق الحديقة العامة ، ثم انهمرت القنابل . وكأنما انفتحت أبواب الجحيم من أعلى وأسفل. واستمر هذا الجحيم ساعة بعد ساعة بلا توقف حتى بعد أن بدأ الفجر يبزغ . فأدركنا أن هذا شيء جديد فى الغارات الجوية ولم يكن لنا به عهد من قبل

ولبثنا فى مكاننا لا نتحرك منذ بدأت الغارة . فالموت لم يكن يهمنا أبدا فى تلك الايام . بل انى فى الايام الاولى كنت أتمنـــاه . حتى أتخلص من عناء القيام من مكانى وارتداء ثيابى والوقوف كى أرقبها وهى تعبر الحديقة العامة فى ضوء مصباح الجيب لان الذى يعقب تلك اللحظة هو على الدوام جحيم الشك والاضطراب

وفى تلك الليلة انفجر طوربيد فى الحديقة العامة وسمعنا صوت الزجاج يتحطم فى الجهة الجنوبية من الطريق . فقلت لها :

ـ أظننا ينبغى أن ننزل الى البدروم

ـ ان ربة البيت تقيم فيه . ولا قدرة لى على مواجهة الناس

ولم أستطع أن أتخلص من مسئوليتى عنها ، فقلت لها :

ـ ربما لم تكن هناك . لعلها فى الخارج . سأنزل وأرى

ـ لا تذهب ، أرجو منك ألا تذهب

ـ لن اغيب سوى لحظة

وهى كلمة استمر المرء فى تلك الايام على استعمالها ، مع علمه انه لا ضمان لشيء . ان اللحظة يمكن فى أى وقت أن تمتد الى الأبد

وارتديت الروب وأخذت معى مصباح الجيب . مع انه لم تكن بى حاجة ماسة اليه فى الواقع ، لان السماء كانت قد بدأت تشيع فيها أضواء الفجر . وفى الحجرة استطعت على ضوء ذلك الضوء السماوى الباهت أن أتبين الشكل الخارجى لوجهها وهى تقول لى :

ـ أسرع .. أسرع ...

وفيما انا اهبط الدرج سمعت الطوربيد التالى وهو يهوى . ثم تلت ذلك لحظة الصمت التى يتوقف فيها المحرك . ولم يخطر ببالى ان هذه هى لحظة الخطر التى يجب أن ننبطح فيها على وجوهنـــا بعيدا عن خطر تهشم الزجاج

ولم يصل الى سمعى صوت الانفجار . وأفقت بعد خمس ثوان

www.ibtesamh.com/vb

او خمس دقائق على عالم مختلف تماما . ظننت نفسى لم أزل واقفا على قدمى وتعجبت للظلمة السائدة حولى . وكأن شخصا يضغط بمعصمه البارز على خدى . وفى فمى طعم الدم المالح

وظل عقلى خاليا بضع لحظات من كل شىء عدا الاحساس بالتعب كأنى عائد لتوى من رحلة طويلة . لم يكن فى ذهنى أى ذكر عن سارة فكنت لهذا خاليا تماما من القلق المصاحب لذكرها ، ومن الغيرة وعدم الاستقرار والكراهية . كأن عقلى صحيفة بيضاء يوشك بعضهم أن يبدأ فى نقش رسالة سعادة فوقها . وملأنى التفاؤل . . .

ولكن عندما عادت الى ذاكرتى لم أجد لهذه السعادة أثرا . واول ما تبينته اننى مستلق على ظهرى . وان الذى يتأرجح فوقى ويحجب عنى الضوء هو باب البيت الخارجى ومن فوقه بعض حطام أشياء أخرى . ومن تحته قطع من الركام جعلته يرتفع عن مستوى جسمى بضع قراريط . وان كان هذا لم يمنع من انتشار الرضوض من كتفى الى ركبتى . أما القبضة الباردة التى كانت تنغرس ضاغطة على خدى فاتضح أنها المقبض القيشانى للباب وقد أطاح هذا المقبض البارد بضرسين من أضراسى

وبعد ذلك بطبيعة الحال تذكرت سارة ، وتذكرت هنرى ، وتذكرت غرامى . فقمت من تحت الباب ونفضت التراب عنى بحركة آلية . وناديت من فى البدروم ولكن لم يكن هناك أحد . ومن فتحة الباب المنهار رأيت ضوء المصباح الباهت ، ومن البهو المتهدم انبعث شعور بالخراب والخواء . وتبين لى أن الشجرة الضخمة التى كانت تحجب الشمس عن الباب لم يعد لها وجود . وحتى جذعها الضخم لم أعثر عليه ساقطا هنا أو هناك . وعلى مسافة كبيرة كان مراقبو الغارات الجوية ينفخون فى صفاراتهم وصعدت السلالم التى طار حاجزها . أما بقية البناء فلم يصب بسوء يذكر . لان الانفجار المباشر لحق ببيت جيراننا

ووجدت باب حجرتى مفتوحا ، وتقدمت نحوه ، فلمحت فى الدهليز سارة . وكانت قد تكورت على الارض من الخوف فيما أعتقد . وبدت لى صغيرة جدا كأنها طفل عار . وقلت لها وأنا أقف عند رأسها :

ـ كانت هذه القنبلة قريبة جدا

www.ibtesamh.com/vb

فالتفتت بسرعة ، وحملقت بى فى رعب ، ولم أكن تبينت أن الروب تمزق وكساه الجير بهذا الشكل . وان شعرى صار أبيض من الجير أيضا . والدم يلطخ فمى وخدى . وسمعتها تصيح :

ـ يا الهى ! انت حى . . .

ـ يبدو كأنى خيبت أملك !

فنهضت من على الارض ، ومدت يديها تلتمس ثيابها ، وقلت لها :

ـ لا لزوم لخروجك الآن ، ستدوى صفارة الأمان سريعا

ـ بل يجب أن أذهب

ـ لا يمكن أن تسقط قنبلتان فى مكان واحد

مع أنى كنت أعلم أن هذه خرافة كثيرا ما ثبت عكسها

ـ لقد أصبت . . .

ـ فقدت ضرسين

ـ تعال أغسل لك وجهك

وكانت قد فرغت من ارتداء جميع ثيابها قبل أن اعارض مرة أخرى ، ولم ار فى حياتى امرأة ترتدى ثيابها بهذه السرعة . وغسلت وجهى بكل بطء وعناية . ثم سألتها بعد ذلك

ـ ماذا كنت تصنعين على الارض مكورة هكذا ؟

ـ كنت اصلى لأى قوة يمكن أن يكون لها وجود

وأذهلنى جدها . فأردت ان اغيظها لاخرجها منه فقلت :

ـ كان الأوفق عمليا أن تنزلى الى البدروم

ـ نزلت الى حيث كنت أنت

ـ لم اسمعك

ـ لم اجد احدا هناك . لم استطع ان اراك الى ان رايت ذراعك ممدودا من تحت الباب . فظننتك مت !

ـ كان فى وسعك أن تقتربى لتتأكدى

ـ اقتربت . ولكن لم أستطع رفع الباب

ـ كان الباب مرفوعا عن جسمى بأنقاض . فمن الممكن أن تخرجينى من تحته . بل كنت حريا أن أتنبه لمحاولتك

ـ لا أدرى ماذا حدث . كنت موقنة أنك ميت

ـ وفى هـذه الحالة لم يكن هنـاك ما تصلين من اجله . اللهم الا معجزة

www.ibtesamh.com/vb

« وخرجت سارة من الحجرة ، فتبعتها على السلم بمصباحى »

www.ibtesamh.com/vb

ـ حين يطبق علينا اليأس نفكر دائما فى المعجزات ونؤمن بها ونصلى فى طلبها . والمعجزات تحدث دائما للمساكين وكنت انا عندئذ مسكينة

ـ انتظرى الي ان تنطلق صفارة الامان

فهزت رأسها وخرجت فورا من الحجرة . فتبعتها على السلم بمصباحى وقلت :

ـ هل أراك عصر اليوم ؟

ـ كلا . لا استطيع

ـ اذن فى اى وقت فى الغد ؟

ـ سيعود هنرى غدا

هنرى . هنرى . هنرى . ان هذا الاسم يتكرر كالنغمة النشاذ فى علاقتنا ليقضى على كل انسجام فيها وسرور وقرأت الاسى فى وجهى فقالت :

ـ لا تبتئس ولا تجزع ، فان الحب ليست له نهاية . . .

ومر بعدها عامان لم أرها فيهما . ثم كان لقاؤنا ، وكان قولها :

ـ أهو أنت ؟ . . .

www.ibtesamh.com/vb

الفصل الحادى عشر

سارة العاشقة

بعد ذلك الفراق لبثت بضعة ايام يراودني الامل . وكنت اعلل النفس ان المصادفة وحدها هى التى تترك اتصالاتى التليفونية بغير جواب

وبعد أسبوع التقيت بالخادمة ، وسألتها عن آل مايلز ، فعرفت منها ان سارة مسافرة فى الريف . فقلت لنفسى ان الكتابة لا جدوى منها ، لان الخطابات كثيرا ما تفقد فى ايام الحرب ، او تضل طريقها . وان هذا هو السبب فى انها لم تكتب الى

ومع هذا ظللت صباحا بعد صباح اتسقط بسمعى صوت ساعى البريد . فأثبت قدمى فى الارض بعناد ، واصر على الانتظار الى ان تصعد ربه البيت ببريدى . وبعدها كنت لا اسرع الى فرز البريد ، رغبة منى فى تأجيل مرارة الخيبة ، وحتى اترك للامل الواهى اطول فسحة من الاجل لذلك النهار

وامد يدى ، فأتناول الخطابات بترتيبها ، فأقرؤها واحدا بعد واحد الى ان أصل الى قاع الكومة ، وعندئذ اوقن اننى لم أحظ برسالة من سارة . ثم بعد ذلك ينصل لون الحياة ، ويبهت طعمها ، الى موعد بريد الرابعة بعد الظهر . وبعد ذلك البريد اجد نفسى مرة اخرى فى مواجهة الليل الطويل الموحش المجهول الغد

وظللت نحو اسبوع لا اكتب اليها لان كبريائى منعتنى من ذلك . واذا بى ذات صباح اتخلى عن كبريائى كلية ، واكتب بلهفة ومرارة . واكتب العنوان على المظروف . ثم اكتب باللون الاحمر « يحول الى مقرها الحالى فورا »

ولم اتلق جوابا على ذلك الخطاب ، وعندئذ تخليت عن كل امل ،

www.ibtesamh.com/vb

وتذكرت تماما ما قالته لى لحظة الفراق :

ـ ان الناس يثابرون على محبة الله طول حياتهم من غير أن يروه بأعينهم مرة واحدة . أليس كذلك ؟

وامتلأت بالحقد عليها لانها تحرص على الظهور بأحسن مظهر فى مرآة نفسها. تزمع الهجر فتخلطه بالدين والتصوف كى تجعله يبدو فى نظرها شيئا ساميا نبيلا ، بدلا من ان تعترف لنفسها بصراحة انها تهجرنى

وكانت هذه اتعس فترة عشتها . فمهنتى قائمة على المخيلة . وتوجب أن افكر فى صور ومناظر ومشاهد . ولهذا كنت اجد نفسى خمسين مرة فى النهار ، وكلما ارقت فى الليل ، وقد ارتفع الستار امام عينى وبدأت مسرحية واحدة بعينها لا تتغير على اختلاف المشاهد والمناظر والحوار . فهى دائما مسرحية بطلتها سارة العاشقة ، ويكاد راسى ينفجر . وأتناول ـ ان كان الوقت ليلا ـ حبوبا منومة . ولكن أشد الحبوب مفعولا كانت تعجز عن ابقائى نائما طول الليل الى انبلاج الصبح

ومن لطف المقادير ان الغارات كانت شديدة ليلا ونهارا ، فكانت تشغلنى بعض الشىء ، فيخلو رأسى تماما من ذكر سارة لمحات من الزمن بين الانفجار والانفجار

ومرت ثلاثة اسابيع . والصور الجهنمية لم تزل فى حدتها ووضوحها وتعاقبها المتواتر كأول يوم . ولم يبد ان هذه الحالة يمكن ان تنتهى ابدا فبدأت افكر جديا فى الانتحار ، لانى لم اتصور حياة تمتد على هذه الوتيرة بغير انتهاء

وبدأت اضع خطة الانتحار ، فجعلت اجمع الحبوب المنومة ، والرجاء يداعبنى فى قرب النهاية . بل وحددت موعدا للتنفيذ ، ثم حل الموعد ، وارتفع الستار كل يوم وتعاقبت مناظر الرواية ، وتركت نفسى ارقبها ، ولم انتحر . . !

ولم يكن ذلك حبنا منى . بل كان الذى منعنى من الانتحار تذكار معين . هو نظرة خيبة الامل التى ارتسمت على وجه سارة حين دخلت الحجرة بعد قيامى من تحت الانقاض . أليس معنى هذا انها فى اعماق قلبها كانت تتمنى موتى حتى لا يتأذى ضميرها بحياتى

www.ibtesamh.com/vb

من علاقتها الغرامية بهذا العشيق الجديد المجهول ؟ ان لها ضميرا بدائيا لا يكربه ان تتمنى موتى . ويكربه اكثر من ذلك ان تخونني في حياتي . فان قتلت نفسي الآن قدمت لضميرها الهدوء والراحة . وبعد اربع سنوات مثلا من تلك الراحة يأتي دور « س » من الرجال كي تقلق من حياته وتتمنى هلاكه . كلا لن اقدم لها هذه الخدمة ، ولن اتيح لضميرها تلك الراحة بموتي . بل اني لو عرفت طريقة ازيد بها قلق سريرتها الى حد التقويض التام لسلكتها . ولكني للأسف الشديد عاجز تماما عن ذلك . يالها من امرأة .. كم اكرهها ..!!

وبطبيعة الحال للكراهية نهاية كما ان للحب نهاية . فبعد ستة أشهر تبينت انه قد انقضى يوم كامل لم افكر فيه في سارة . واني كنت سعيدا ذلك اليوم

ولكن كلا . ان الكراهية لا تموت بهذه السهولة . لاني في تلك اللحظة وجدت نفسي اشترى بطاقة بريد بها منظر غرامي واكتب اليها سطورا غاية املي ان تؤلمها ولو لحظة . ولكن بمجرد كتابتها تبخرت رغبتي في ايذائها ثم القيت البطاقة في الطريق من غير ان اكتب العنوان

ومن الغريب ان هذه الكراهية لم تنبعث حية بعد ذلك الا حين التقيت بهنري . وملأ العجب نفسي لهذا البعث . واخذت اتمنى ، — وأنا أفتح تقرير باركيس التالي — لو أن الحب أيضا يمكن أن يبعث على هذا النحو

▭

لقد احسن باركيس اداء مهمته . ونجحت خطة تغطية ازرار الباب بالذرور . واتضح ان الطابق الذي تقصده سارة في ١٦ شارع سيدار هو الطابق الثالث والاخير . وتقطنه مس سمايز وشقيقها ريتشارد سمايذ . وهذه الآنسة من النوع التقليدي الهادىء في اخوته، على النحو الذي يعتبر به هنري زوجا هادئا تقليديا

وتعجبت في نفسي هل بلغ بها الهبوط ان تعشق شخصا اسمه سمايذ يقطن في شارع سيدار ؟ أم تراه الرقم الاخير من سلسلة طويلة من العشاق تنقلت بينهم في العامين الاخيرين ! وهل حينما اراه سيكون أمامي الرجل الذي هجرتني من أجله في يونيو سنة ١٩٤٤

وقابلت باركيس وسألته :

— هل من رأيك ان ادق الجرس واواجهه كما لو كنت الزوج المخدوع؟

www.ibtesamh.com/vb

ـ انا ضد هذا الرأى ياسيدى . فان هذه الخطوة ستعرقل الامور وتعقدها حين يصل الامر الى القضاء

ـ انه لن يصل الى القضاء

ـ اتنوى ان تصل الى تسوية ودية ؟

ـ بل لن يصل الى القضاء لانى فقدت اهتمامى بالمسألة . فأنا لا يمكن ان اقيم الدنيا واقعدها بسبب شخص اسمه سمايذ . كل ما هناك ان بى رغبة قوية فى ان اراه

ـ ان اسلم طريقة يا سيدى فى هذه الحالة ان تزعم نفسك مفتش عدادات النور

ـ لا اتصور نفسى فى ذلك الزى وتلك القبعة

ـ وانا من رأيك يا سيدى

ـ هل تعيرنى ابنك ياباركيس ؟

ـ اذا ضمنت لى يا سيدى انه لن يرى شيئا يجرح حياءه

ـ انى لا انوى ان نذهب ومسز مايلز هناك

ـ ولكن لماذا تريد الغلام ياسيدى ؟

ـ سأزعمه ابنى . وسأقول انه مريض واننا نريد الطبيب فى ذلك العنوان . ثم نتصنع اننا ضللنا العنوان بعد الصعود الى الطابق الثالث وسيكون طبيعيا ان يسمحوا للغلام بالاستراحة قليلا فى المسكن قبل ان ننزل

فقال باركيس بكل ثقة وزهو :

ـ انه دور فى طاقة لانس ان يقوم به ، فهو بارع

ـ هل اسمه لانس ؟

ـ نعم هذا هو اسمه . تيمنا بالسير لا نسلوت الفارس المشهور من فرسان المائدة المستديرة

▭

وفى اليوم التالى سلمنى باركيس ابنه لانس وهو يحذرنى من شراء المثلجات له مهما الح لان الفصل غير مناسب . فكان اول عمل لى ونحن فى الشارع الكبير المفضى الى شارع سيدار ان اشتريت له قطعة كبيرة !

وكنت اعلم من تحريات باركيس ان هنرى مايلز لديه هذا اليوم

www.ibtesamh.com/vb

مأدبة كوكتيل فى بيته . ومعنى هذا ان الجو خال تماما وان سارة ستكون مشغولة بالحفلة فى بيتها .فلا تذهب الى موعدها المريب . وكان الغلام مرتديا خير ثيابه لانها تجربته الاولى فى اداء مثل هذا الدور . فهو حريص على حسن مظهره فرح بالمناسبة . اما انا فكنت مرتديا اسوأ ثيابى

وبعد ان فرغ الغلام من اكل الجيلاتى طلبت له قطعة اخرى ، اخذ يأكلها هذه المرة بعناية وعلى مهل . وبعد هذا مشينا الى وجهتنا كأى اب وابنه . ولم أتمالك نفسى من التفكير وأنا منطلق معه . أن الاوفق لى ولسارة لو كنا تزوجنا وانجبنا اطفالا وعشنا بهدوء فى مكان جميل راكد . فان ذلك كان خيرا الف مرة من هذه المسألة كلها بما فيها من غيرة وشهوة وتجسس

وضغطت زر الجرس الخاص بالطابق الثالث فى ١٦ شارع سيدار وقلت للانس ان يبدأ فى تصنع المرض ، فقال :

ـ لن يكتشفوا الحقيقة الا اذا عزموا على بقطعة جيلاتى

وفطنت الى ان التى فتحت الباب لابد ان تكون مس سمايذ . وهى امرأة نصف مبيضة الشعر قلت لها :

ـ هل مستر ويلكوكس يقطن هنا ؟

ـ لا اعتقد . . .

ـ الا تعلمين هل يقطن الطابق الاوسط ؟

ـ لا اظن ان احدا فى هذا البيت اسمه ويلكوكس

ـ ويحى ! لقد أتينا كل هذه المسافة عبثا . وها هو الطفل يشعر بالمرض . ولم اجسر ان انظر نحو لانس . ولكن الطريقة التى نظرت اليه بها مس سمايذ اشعرتنى انه يقوم ولا شك بدوره فى صمت خير قيام . حتى ان مستر سافيدج لا شك كان يزهبه كثيرا أن يضمه الى فريقه الماهر ، وقالت الآنسة سمايذ :

ـ دعه يدخل ويجلس

ـ هذا كرم عظيم منك

وتساءلت فى نفسى كم مرة يا ترى عبرت سارة هذا الباب الى هذا البهو فها انا اخيرا فى بيت « س » . ولا شك ان هذه القبعة البنية الرخوة التى على المشجب هى قبعته

www.ibtesamh.com/vb

واخيرا لابد ان اصابع هذا الرجل . اصـــابع خليفتى انا التى تلمس جسد سارة هى التى تدير كل يوم هذا المفتاح الذى يتحكم فى المدفأة الصفراء التى توقد بالغاز ، وتنبهت على صوت مس سمايذ تقول :

ـ هل استطيع ان اقدم للغلام عصير البرتقال ؟

ـ لا تتعبى نفسك

وقال الخبيث بصوت حازم :

ـ عصير برتقال ... من فضلك

ولما خرجت مس سمايذ نظرت نحوه فخيل الى وهو ينطرح فوق كريتون الاريكة انه مريض فعلا . ولولا انه غمز لى بطرف عينه فى الوقت المنـاسب لرسخت هذه الفـكرة فى ذهنى . ولم تلبث مس سمايذ ان عادت بعصير البرتقال ، فقلت :

ـ قل اشكرك يا آرثر

ـ هل اسمه آرثر ؟

ـ آرثر جيمس

ـ اسم عتيق .. موضه قديمة

ـ نحن اسرة متعلقة بالتقاليد يا سيدتى ، وكانت المرحومة والدته مغرمة باللورد تنيسون الشاعر

ـ هل والدته موجودة ...

ـ للأسف .. ماتت

ـ لاشك انه عزاء كبير لك ؟

ـ ومصدر قلق كبير ايضا . اظن اننى ينبغى ان اقدم نفسى . اسمى بريدج

ـ وانا اسمى مس سمايذ

ـ يساورنى شعور قوى اننى قابلتك فى مكان ما من قبل

ـ لا اظن . فان لى ذاكرة قوية فى الوجوه

ـ ربما كنت التقيت بك فى الحديقة العامة

ـ انى اذهب هناك أحيانا مع اخى

ـ هل هو جون سمايذ ؟

ـ كلا . ريتشارد . وكيف حال الغلام الآن ؟

www.ibtesamh.com/vb

فأسرع لانس يقول :
ـ أسوأ ، هل يمكن ان اتناول كوبا آخر من عصير البرتقال ؟
ـ لقد اثقلنا عليك بما فيه الكفاية يا سيدتى
ـ لا تقل هذا . ان اخى لن يغفر لى ان تركتكما تنصرفان الآن والفتى متوعك فهو شديد التعلق بالاطفال
ـ هل هو فى الخارج ؟
ـ اتوقع عودته فى اى لحظة . . ان عمله الحقيقى هو يوم الاحد
ـ اهو من رجال الدين ؟
ـ ليس تماما . . .

وبدا فى عينيها القلق كأنما اسدلت ستارا بيننا فجأة توارت خلفه بمتاعبها الخاصة . ثم فجأة انفتح باب البهو ووجدت نفسى وجها لوجه امام « س » العتيد

وفى عتمة البهو خيل الى ان له وجها وسيما كوجوه الممثلين . فيه سوقية من يتطلعون الى انفسهم كثيرا فى المرآة . وحزنت فى اعماقى قليلا وتمنيت لو كان لها ذوق افضل من هذا . فلما دخل فى دائرة الضوء وضح لى على جانب وجهه بقعة كبيرة حمراء خشنة السطح مثل الفراولة تمتد من عظمة الخد الى طرف الذقن . فأدركت اننى ظلمت الرجل وانه لا يمكن ان يجد لذة فى التطلع الى وجهه هذا فى المرآة

وقامت اختهبالتعريفبيننا وشرحت له الموقف . فتصافحنا باليد وعينه على الغلام . ولاحظت جفاف يده وحرارتها . وسمعته يقول :
ـ لقد رأيت ابنك من قبل
ـ فى الحديقة العامة ؟

وكانت شخصيته اقوى من الحجرة ، لا تتلاءم مطلقا مع هـذا الكريتون . وتساءلت فى نفسى هل تجلس اخته هنا حين تكون سارة معه فى حجرته الداخلية . ام ترى يرسلها لقضاء حاجات عند اللزوم ؟ ولكن اين تقابلا ؟ وهل كانت هى التى خطت الخطوة الاولى ؟ وماذا رأت فيه ؟ ومنذ متى ؟ والى اى مدى هما عشيقان ؟ ورنت فى اذنى كلمات خطابها الناقص الذى سرقه باركيس وهى :
« لا حاجة بى ان اكتب اليك او اكلمك . . أعلم اننى بدأت احب ،

www.ibtesamh.com/vb

ومع هذا فمنذ الان بى رغبة ان اتخلى عن كل شيء وكل انسان عداك »

وحملقت فى الوحمة الغريبة على خده ، وقلت فى نفسى انه لا واقى من الحب . فأى عاهة ؟ الحدبة أو العرج يمكن أن تكون الزناد الذى يقدح فى كيان سارة شعلة الحب

وفجأة اقتحم على تيار افكارى قائلا بحزم :

ـ ما هو الغرض الحقيقى من حضورك ؟

ـ قلت لمس سمايذ . كى أزور رجلا اسمه ولسون

ـ لا اذكر وجهك . ولكنى اذكر جيدا وجه ابنك . فلا تخف وقل لى ماذا تريد فانى متعود على حضور الناس الى هنا ولا غرض لى سوى تقديم اقصى المعونة اليهم

ـ أؤكد لك انى جئت انشد ويلكوكس ، وان الفتى شعر بالمرض ، ولكنه الان احسن . ونريد ان ننصرف

ـ انصرف ان شئت ولكن الا تدع لى الغلام نصف ساعة ؟ فانى أريد أن أتحدث اليه

فخطر لى انه عرف ابن باركيس ويريد ان يستجوبه فقلت :

ـ ان كنت تريد ان تسأله عن أى شيء ففى امكانك ان تسأله امامى او تسألنى ..

وتوهجت الوحمة الحمراء فى وجهه فاشتعل غضبى . كيف يمكن ان يكون هذا المخلوق هو وسارة .. وهذه الاخت .. وهذا الكريتون؟

ـ انتى انا وانت كبرنا وانتهى امرنا . اما هذا الغلام فان المعلمين والقسس لم يشرعوا الا منذ قليل فى فساده بأكاذيبهم

ـ لا افهم ماذا تعنى يا مستر سمايذ

ـ ان اخته قالت انه يشتغل يوم الاحد ولكنه ليس من رجال الدين ثم هذا الذى يقـــوله الان يدل على اتجاه غريب . ويالله من سخف بشع ان يكون هذا المخلوق عشيق سارة . لاشك انها نزوة طارئة جامحة من نزوات الرغبة . ولا يمكن أن تكون حبا . وفجأة بدت لى علاقتهما شيئا مضحكا ليس له وزن . وشعرت اننى تحررت من الغيرة

ـ اظن يا مستر سمايذ اننى يجب أن انصرف الان وانا جد شاكر

www.ibtesamh.com/vb

لعنايتكما بابنى . واعتذر لمضايقتكما . لكنى آسف لانى لا أشاركك فى معتقداتك الدينية

فنظر الى بدهشة وقال :

ـ ولكنى لا دين لى . انى أومن بلا شيء . واعتقد ان القسس والمعلمين يشوهون اذهان التلاميذ ببقايا معتقدات لا تمت بصلة الى العصر الحاضر . ولهذا كنت اريد ان اصادق ابنك واجعله يألف هذا البيت كى ابدأ فى تنظيف عقله واخبره عن التاريخ الحقيقى لنشأة الكون والانسان . ولافهمه المعنى الحقيقى للموت حتى ينفض الاكاذيب التى علموها له فى المدرسة بخصوصه

ـ كل هذا فى نصف ساعة ؟

ـ انها تكفى لالقاء بذرة

ـ وهل يحضر لديك الناس حقا خلسة لهذا السبب ؟

ـ ان الناس متعطشون دائما الى كلمة رجاء

ـ اتسمى هذا العدم رجاء ؟

ـ واى رجاء ! لانهم متى ايقنوا انه ليس امامهم حياة سوى هذه بغير ثواب فى المستقبل او عقاب . فانهم سيبادرون الى تحصين هذه الحياة واقامة الفردوس فيها بدلا من ان يلقوه عن اكتافهم اعتمادا على العالم الاخر . هذه هى رسالة الرجاء التى انادى بها . .

ـ لابد من تفسير اشياء كثيرة قبل الوصول الى هذه النتيجة

ـ اتحب ان اريك مكتبتى ؟ انها احسن مكتبة فى جنوب لندن

ـ ليست بى اى رغبة فى اعتناق مذهبك يا مستر سمايذ على طريقتك ، لانى فعلا لا اومن بشيء ، الا فى الحين بعد الحين

ـ ان هذا الحين بعد الحين هو الذى يجب ان نوجه اليه عنايتنا

ـ والعجيب فى الموضوع ان هذا الحين بعد الحين هو الاوان الوحيد للرجاء فى حياتى

ـ ان الانانية او الكبرياء قد تبدو لنا احيانا فى صورة الرجاء

ـ لا اظن هذا وعلى كل حال لا يمكن ان اتأخر اكثر من ذلك لانى يجب ان آخذ الغلام الى البيت فورا

فظهرت على وجه ريتشارد سمايذ امارات حنان مبتسر كالذى يظهر على وجه عاشق مرفوض

وعند الباب القيت بقنبلتى ، وقلت :

www.ibtesamh.com/vb

ـ يجب يا مستر سمايذ ان تقابل صديقة لى تهتم جدا بموضوعك، واسمها مسز مايلز

وتوقفت فجأة كما تكلمت فجأة لان الضربة اصابته فى الصميم . واذا بالوحمة وكأنها تفشت فى وجهه كله . وسمعت اخته تصيح وهو يشيح فجأة عنى :

ـ يالاخى العزيز ! ويحى

فمما لا شك فيه اننى آلمته . ولكن الالم كان قسمة بيننا على التساوى حتى لقد تمنيت بعد أن اطلقت سهمى لو انه طاش

انه اذن يحبها ، انه الحب اذن ، وليس نزوة من نزوات الرغبة

▭

وفى الشارع اصيب لانس بغثيان من المثلجات وعصير البرتقال فتركته يقيء ووقفت انا اتساءل محزونا :

ـ ترى هل فقدها هو كما فقدتها انا ؟.. اما لهذه الحلقة المفرغة من آخر ؟ هل كتب على بعد ان عثرت على « س » ان ابحث الان عن « ص » ؟

www.ibtesamh.com/vb

الفصل الثانى عشر

مذكرات حُبّ

وفى اليوم التالى جاءنى تقرير جديد من باركيس عن الحفلة التى كانت فى دار هنرى ... يقول التقرير :

كان الامر غاية فى السهولة يا سيدى . فقد كان هناك عدد كبير من المدعوين فظنت مسز مايلز اننى أحد اصدقاء زوجها من موظفى الوزارة . وظن مستر مايلز اننى من أصدقائها

« وكانت الحفلة ناجحة جدا ، الا ان مسز مايلز كانت تبدو شاردة الذهن بعض الشىء ، وكانت تسعل سعالا رديئا فى الواقع يا سيدى »

والحقيقة اننى سمعت هذه الأخبار بمزيد السرور وقلت عسى ان يكون معنى هذا ان هذه الحفلة خلت من القبل والمعانقات التى اذكرها جيدا بمناسبة اول حفلة حضرتها فى بيت هنرى

ووضع باركيس على مكتبى لفافة من ورق بنى وقال بفخر :

ــ لقد عرفت الطريق اليها يا سيدى بواسطة الخادمة . وقلت فى نفسى ان رآنى احد وانا اتجه الى الموضع فسأدعى انى ابحث عن دورة المياه . ولكن لم يفطن أحد الى تحركاتى . ووجدت المجلد على مكتبها . ويظهر انها كانت تسطر فيه شيئا ذلك النهار . ولا اضمن لك يا سيدى ان تكون هذه المذكرات صريحة واضحة تماما لانها ربما كانت من ذلك الصنف الحذر من السيدات . ولكن تجربتى الخاصة تدلنى على ان المذكرات كثيرا ما تكشف لنا عن أسرار جد خطيرة . وحتى اذا استعمل الكاتب لغة خاصة او كنايات معينة فمن السهل ادراك ما وراءها

واخذت افك اللفافة بيدى ثم اخرجت المجلد . وسألته :

ــ هل تصفحته ؟

www.ibtesamh.com/vb

ـ لقد اردت ان اعرف نوع البضاعة يا سيدى . ومن باب واحد من أبواب هذه المذكرات استطعت أن أحكم بأن السيدة ليست من الطراز الحذر فى مذكراته :

ـ ولكن ليس هذا مجلد مذكرات العام الحالى

فظهرت الدهشة الشديدة على وجه باركيس . وقلت :

ـ انها مذكرات ما قبل عامين

فظهرت عليه خيبة الأمل كاملة ، ولكنى اسعفته بقولى :

ـ انها تفيدنى وتؤدى الغرض على كل حال

ـ صدقت يا سيدى ، اذ كان كل ما فيها مطابقا للواقع

▭

وكانت المذكرات عبارة عن مجلد ضخم من نوع دفاتر الحسابات وعرفت على الفور خطهـــا الجرىء الكبير المألوف وقد اعترضـــته الخطوط الزرقاء والحمراء . وكانت الابواب غير متواترة يوميا . بل كلما وجدت رغبة فى تسجيل شىء . واستطعت ان اطمئن باركيس قائلا :

ـ ان هذا المجلد به مذكرات جملة سنوات

ـ لابد يا سيدى أن شيئا دفعها لاخراجه كى تعيد تلاوته

وقلت فى نفسى ان هذا ممكن ، ولعل شيئا ذكرها بى او بعلاقتنا التى نسيتها الان ، فتعكر صفوها ، وعادت الى ذلك الماضى الذى انتهى من حياتها . وتوجهت الى باركيس قائلا :

ـ ان سرورى لعظيم بالحصول على هذه المذكرات . حتى انى اعتقد اننا يمكن الان ان نعتبر المهمة منتهية ونقفل الحساب

ـ ارجو ان تكون راضيا يا سيدى

ـ كل الرضى

ـ وأرجو ايضـــا ان تكتب بذلك الى مستر سافيدج ، فالزبائن الساخطون لا يتخلفون عن الكتابة اليه بسخطهم ، اما الراضون فهم فى الغالب لا يكتبون . لان من طبيعة مهمتنا انه كلما زاد توفيقنا فى ارضائه اى بتزويده بما يثبت شكوكه ضد زوجته ، كانت رغبته اشد فى نسيان الموضوع

www.ibtesamh.com/vb

ـ ثق انى سأكتب ...

وحدثته بعد ذلك عن ابنه الظريف ، وعن طريقته فى تربيته ، وشعرت باهتمام وميل نحو هذا الانسان الطيب ، الذى يقوم بمهنة عجيبة . وقبل أن ينصرف قدم لى تذكارا غريبا فى بابه . لانه عبارة عن منفضة سجائر استولى عليها اثناء ضبط سيده مشهورة كلف بمراقبتها ، وقال لى انه يتركها عربونا على حفظه للجميل، وما وجده من سعادة فى اتصاله بى

وبعد ذلك صحبته الى الباب ، وضغطت على يده ، ثم خرج وانا اعتقد انه خرج نهائيا من حياتى ، فهو ليس من الطراز الذى يتوقع ان يراه الانسان بعد ذلك

واقبلت على المذكرات افتحها . وخطر لى اولا اننى سأنظر قبل كل شيء فى ذلك اليوم المشهود من ايام يونيو سنة ١٩٤٤ ، يوم الانفجار ، ويوم لقائنا الاخير

وبعد ذلك وجدت نفسى أراجع تواريخ مختلفة، لأتثبت من وجود شيء تحتها على عجل ، واراجعها على مذكرتى الخاصة . لانى كنت مصمما ان اتقصى الخطوات الداخلية لحياة غرامنا من بدايته الى منتهاه

بيد ان الهدوء الدراسى تخلى عنى ، ووجدت نفسى نهبا للحسد والكراهية والشك ، حتى رحت اقرا اعترافاتها بالحب ، وكأنها كلام انسان غريب . كنت اتوقع اكداسا من الدلائل التى تدفعها وتدينها . وتثبت لى شكوكى فى المرات الكثيرة التى ضبطها متلبسة بالكذب . واذا بى اجد اجوبة من نوع غريب جدا على جميع اسئلتى . اجدها بخط يدها الذى لا استطيع ان اكذبه كما اكذب صوتها

وفى اضطراب بالغ قرأت اول ما قرأت الصفحات الاخيرة . ثم الصفحات الاخرى على حسب قفزات شعورى . ثم عدت الى الصفحات الاخيرة من جديد ، لاتأكد من وجودها ، فقد كانت شيئا غريبا على نفسى جدا ، بعد اعوام القلق والشك والكراهية ، ان اصدق اننى كنت طيلة الوقت محبوبا

www.ibtesamh.com/vb

حيرة ..

لم تكن بى رغبة أن اقرأ كل ماسطرته فى مذكراتها . فليس يهمنى فى شىء ماترددت عليه من المسارح والمطاعم فى صحبة هنرى . ثم ان كل تلك الحياة المجهولة لى بخفاياها كانت مثار الم لى ، لهذا بدأت حيث كانت نهايتنا :

« ١٢ يونية سنة ١٩٤٤

« أجد نفسى أحيانا مجهدة من كثرة محاولاتى لاقناعه أنى أحبه ؛ وساظل احبه الى الابد . وهو يترقب كلماتى بيقظة المحامى الجنائى الذى يتسقط الاخطاء ويتلمس الهفوات وسقطات اللسان ، كى يأولها ويحولها عن ظاهر معناها

« وأنا أعلم انه خائف من تلك الصحراء التى سيتيه فيها ، ان قدر لحبنا أن ينتهى ، ولكنه لايدرى انى أعانى وأشعر بنفس شعوره ، فحبى له كل شىء ، كما أن حبه لى كل شىء . وما يقوله جهرا ، أقوله لنفسى سرا ، واكتبه هنا . فماذا يستطيع الانسان أن يشيد فى صحراء ؟ وماذا نصنع فى الصحراء حين يضل احدنا عن صاحبه ؟. وكيف يمكن لكل منا بعد ذلك أن يستأنف الحياة ؟

انه غيور من الماضى والحاضر والمستقبل ، ولا يشعر بالامان ، الا حين يضمنى اليه . آه لو أننى استطعت أن أشعره بالثقة والطمأنينة ؛ لنتحاب بعدها فى أمن ودعة وسعادة ، لا بهذه الوحشية ، وبهذا القلق .. آه لو استطعت أن اجعل شبح الصحراء يختفى وراء مدى البصر . اذا لامتدت السعادة طول العمر . وهل اذا كنت أومن بالله يستطيع الله أن يملأ خلاء الصحراء ؟

« انى كنت طول حياتى راغبة أن يميل الناس الى ويعجبوا بى . واشعر بقلق يسلبنى طمأنينتى ، اذا أشاح عنى رجل ، أو فقدت صديقا ، انى لا أريد أن أفقد حتى زوجى . ذلك انى أريد كل شىء ، طول الوقت ، وفى كل مكان . أريد الملاء باستمرار لانى أرتعد خوفا من خلاء الصحراء

« يقولون فى الكنائس ان الله يحبنا ، وانه كل شىء . ولابد أن من يصدقون ذلك لا يحتاجون الى اعجاب البشر ، ولا الى البحث عن الطمأنينة والهرب من الوحدة ، لا حاجة بهؤلاء الى ضمان يطرد

www.ibtesamh.com/vb

« واقبلت على المذكرات افتحها ، وقرأت اول ما قرأت الصفحات الاخيرة »

www.ibtesamh.com/vb

عنهم الوحشة . ولكنى للاسف غير مؤمنة . ولا استطيع أن أختلق ايمانا . . . !!

« كان موريس بندركس رقيقا جدا معى طول اليوم . وجعل يردد على سمعى مرارا انه لم يحب امرأة كما احبنى . ويظن انه بتكرار هذا الكلام سيجعلنى أصدقه . ولكنى اصدقه ببساطة لأنى أحبه على هذا النحو تماما . وان قدر لى أن أكف عن حبه فسأكف عن الايمان بحبه لى . وبالمثل ان أحببت الله سأعتقد بسهولة ان الله أيضا يحبنى . ولا يكفى أن نكون محتاجين الى الحب بل يجب أن نحب فعلا أولا . وهذه هى المشكلة . فانى أشعر بحاجة شديدة الى حب الله لى

« ظل موريس لطيفا معى طول النهار ، الا مرة واحدة ، حين جاء ذكر رجل ، فاذا بعيناه تشردان الى بعيد . فهو يظن اننى لم أزل على عادة الاتصال بغيره من الرجال . وبفرض انى فعلت ، فهل لهذا أهمية كبيرة ؟ وان اتفق له ان اتصل بامرأة مرة فهل اكترث ؟

« انى فى حيرة شديد لا أدرى ماذا أصنع . ماذا هو صانع بى بكل هذا الحب العنيف وماذا أنا صانعة به ؟ أجل شعرنا ببعض السعادة أحيانا . ولكننا لم نشعر فى حياتنا بشقاء أشد مما شعرنا به تحت وطأة هذا الحب القاسى . وكأن كلا منا مسلط على الآخر ، يجتهد ان يلحق به أكبر ايذاء ممكن ، انى فى حيرة

« ١٧ يونية سنة ١٩٤٤

« بالامس ذهبت الى بيته . وقبل ذلك كنت انتظره فى الحديقة العامة . وسمعت خطباء من كل نوع . فهناك خطيب الحزب الشيوعى . وهناك الرجل الذى لا هم له كل يوم الا القاء مزيد من النكت . ثم رجل كل همه مهاجمة المسيحية باسم جمعية المفكرين بجنوب لندن . وهو رجل كان من الممكن أن يكون جميلا لولا وحمه ضخمة على شكل حبة فراولة خشنة حمراء تلطخ احد خديه . ووقف حوله عدد قليل من المستمعين . ولم يقاطعه احد مطلقا فشعرت أنه يهاجم شيئا ميتا بالفعل . فلماذا كل هذه الحماسة وهذا العناء ؟

« ووقفت أصغى اليه قليلا . وكان يفند اثباتات وجود الله . وأنا لا أعرف عن الله شيئا سوى ذلك الشعور الجبان بالاحتياج الى الهرب من وحشة الوحدة فى هذا الكون

www.ibtesamh.com/vb

« وكان أمامنا النهار بطوله ، ثم الليل بطوله ايضا ، لان هنرى قرر المبيت فى استراحة الوزارة واشترينا خسا وزبدا وكعكا . وذهبنا الى البيت . وكان الجو دافئا جدا وليست بنا رغبة شديدة للطعام

كان هذا بالامس . ولم يزل الجو دافئا وانا جالسة اسطر هذه الكلمات فى القطار الذاهب الى الريف حيث يلحق بى هنرى فى جولة تفتيشية . ولو كنت فى لندن لخففت الآن الى التليفون وطلبت الرقم الوحيد الذى أعرفه عن ظهر قلب لاتخلص من الصحراء التى دخلتها هذا الفجر فعلا

« أمس انطلقت صفارات الانذار . وليت أمس يعود ولكن هيهات ! هناك ذلك النذر الذى قطعته على نفسى . ولكن ما قيمة النذر ؟ من الذى يعلم اننى حنثت بنذرى ؟ سيغضب الله . ولكن كيف يمكن أن يكون الله الرحيم راضيا بهذا العذاب الذى اتخبط فيه وتلك الصحراء المخيفة التى تعتصر قلبى ؟

« دوت صفارات الانذار أمس فلم نلق اليها بالا لم يكن الموت بالقنابل هو الذى يخيفنا بل صحراء الوحشة بلا حب . ولكن الغارة أمس طالت وطالت . كانت شيئا جديدا من نوعه لم يحدث من قبل . وهبط موريس ليرى هل البدروم خال لانه كان خائفا على . وكنت خائفة عليه . وكنت أشعر ان شيئا رهيبا سوف يحدث

« ولم ينقض على خروجه من الحجرة أكثر من دقيقة أو دقيقتين واذا انفجار عنيف فى الشارع . وحجرته تقع فى الجانب الخلفى من البيت فلم أشعر بأكثر من سقوط الجير من السقف وباب الحجرة يفتح فى عنف . ولكنى كنت أعلم انه فى هذا الوقت كان فى الجانب الامامى من المنزل فأسرعت أهبط السلم . فاذا سوره تهدم والانقاض فى كل مكان فى البهو . ولم أر موريس لاول وهلة . ثم لمحت ذراعه من تحت الباب المحطم . ولمست يده وأقسم أنى وجدت فيها برودة الموت . وكيف يمكن وانا أحبه حب الحياة كلها الا اشعر بالحياة فى يده بمجرد اللمس ؟

« انى اعرف الآن طبعا انه لم يكن ميتا . ولكن هل يمكن أن يعتبر الانسان مسئولا عن وعد يرتبط به وهو فى حالة هستيرية ؟ نعم كنت هستيرية وانى لاشعر الآن بالهستيرية وأنا أكتب هذه

www.ibtesamh.com/vb

الـكلمات . اشعر بالهتسيرية من هذا الوعد الذى لايمكن ان اتقيد به . وفى الوقت نفسه لا أريد أن يرى هنرى وجهى وانا فى هذه الحالة لا أريد ان انهار عصبيا حتى لا أسبب فضـــيحة لهنرى . ولـكن فليذهب هنرى الى الجحيم ! انى أريد شخصا يقبلنى على حقيقتى ، وعلى علاتى ولا يحتاج ضعفه الى حمايتى . وان كنت كلبة ساقطة فمنذا الذى يحب كلبة ساقطة ؟

« اعتقدت انه ميت فانـكببت على وجهى فوق الارض وفعلت مالم افعله حتى وانا طفلة ، فلم يكن والداى من أهل الصلوات . ولم تكن عندى اى فـكرة عما أقول . فموريس مات . انتهى . وليس هناك شىء اسمه الروح أو من بوجوده . وحتى شبه السعادة الذى اتحته له قد نزف منـه مع دمه . ولن تسنح له فرصـــة السعادة بعد ذلك ابدا مع أى انسان ، مع اى امراة اخرى كان من الممكن ان تسعده وتحبه وتمنحه أكثر مما منحتـــه من الهنـــاء والطمأنينة ، ولـكن وا اسفاه لم تعـد هنـاك فسحة من الرجاء فى هذا كله . .

« ارتميت بوجهى على الارض وتمنيت لو كان عنـدى ذرة من الايمان وصرخت الى الله أن يمنحنى الايمان أولا . فانى أكره نفسى ولا ادرى ماذا أصنع بها . واغلقت عينى بشدة وغرست اظافرى فى راحة يدى حتى لم أشعر الا بوخز الالم يملأ جسمى وقلت :

ــ سأومن ، امنحه الحياة يارب وسأومن . امنحـه الفرصـــة للحياة والسعادة . افعل هذا يا رب وسأومن . انى أحبه يا رب أكثر من الحياة ، ومستعدة ان أفعل اى شىء ان أحييته . مستعدة يا رب ان اتنازل عنه نهائيا الى الابد أن انت أحييته ومنحته فرصة للحياة والسعادة !

« وجعلت أغرس اظافرى الطويلة فى لحم كفى بمزيد من الاصرار حتى أحسست بالجلد يتمزق ، وهتفت من أعمـــاقى أخاطب الله :

ــ ان الناس يستطيعون أن يحبوا ولاشك بعضهم بعضا من غير أن يتقابلوا . فهم يحبونك طول حياتهم من غير أن يروك مرة واحدة رأى العين . .

« واذا به واقف على راسى بباب الحجرة . . حيا . ونظرت اليه فى رعب وخوف وبأس ، فقد بدأت أتبين عذاب الحياة وقد عاد مع

www.ibtesamh.com/vb

عودته الى الحيـــاة . وتمنيت من كل قلبى لو انه ارتد حيث كان جثة هامدة تحت باب الدار . كان هـــذا أهون على نفسى . كان موقفا ممكنا لى أن أواجهه . أما مواجهة الحياة من غيره . من غير طعم الحياة فمستحيل مستحيل

« ٩ يولية سنة ١٩٤٤

« نحن فى القطار . أنا وهنرى فى ديوان خاص بالدرجة الاولى . ونزلنا فركبنا سيارة أجرة نزل منها هنرى عند الوزارة ، واتجهت بى الى البيت . أخطأ السائق ومر من الجهة الجنوبية أمام رقم ١٤ . فاذا الباب وقد أعيد الى مكانه والنوافذ الامامية وقد غطيت بألواح الخشب . ما افظع شعور الانسان بالموت . كم أريد أن أشعر بدبيب الحياة بأى شكل

ولمـــا وصلت الى الدار ، وجدت الخطابات متراكمة ، وكنت قد أمرت بعدم تحويل شىء منها . ثم وجدت بينها خطابا منه كتب على مظروفه رجاء بتحويله فورا حينما أكون . ونازعتنى نفسى أن افضه لاشعر بالحيـــاة تدب منـــه الى كيانى ، ولـــكنى قاومت ، ومزقته والقيته فى النار »

صراع الحب

« ١٠ يولية سنة ١٩٤٤

« خطر لى أننى لا اعتبر حانثـــة بنذرى ان التقيت مصـــادفة بموريس وانا اجتاز الحديقة العامة . وعلى هذا جعلت أخرج اليها بعد الافطار وبعد الغداء وفى باكورة المساء ، أتمشى جيئة وذهابا ومع هذا لم أره . ولم أستطع اليوم أن أبقى فى الخارج بعد السادسة لان هنرى سيستقبل ضيوفا

« وفى الحديقة وجدت أولئك الخطباء المعهودين الذين رأيتهم هناك فى يونيو . وكان هناك أيضا ذلك الرجل ذو الوحمـــة الحمراء على صدره . وسمعته مثابرا هذه المرة أيضا على مهاجمة المسيحية من غير أن يثير اهتمام أحد أو اعتراضه

« وقلت فى نفسى ليت هذا الرجل يستطيع ان يقنعنى بعـــدم جدوى المحافظة على نذر قطعته نحو قوة لا أومن بوجودها . وان يقنعنى ايضا ببطلان المعجزات . وظللت على هذا الامل أصغى له

www.ibtesamh.com/vb

بضع دقائق . ولكنى كنت اتلفت دائما حولى عسى أن يمر موريس من هناك ، ونهضت امرأة شيباء الشعر وراحت توزع بطاقات عليها اسم ذلك الخطيب وعنوانه : « ريتشارد سمايذ ١٦ شارع سيدار الجميع مدعوون للحضور فى أى وقت للتحدث والمناقشة والمشاورة على انفراد »

« رأيت بعض الواقفين يرفضون تناول البطاقة من المرأة كأنها ستطلب منهم تبرعات ، وآخرين يلقون البطاقة بين الحشائش ، فتلتقطها المرأة من باب التوفير والاقتصاد ، وشعرت بالاسف لهذا الرجل المسكين . فهذه الوحمة الكبيرة فى صدغه . وهذا الاهتمام بمهاجمة ديانة لايهتم أحد بمهاجمتها أو تأييدها . وبطاقاته الملقاة فى اهمال ينطوى على رفض تلك الصداقة المعروضة عليهم . ولهذا وضعت بطاقته فى جيبى وأنا ارجو ان يكون قد رآنى افعل ذلك !

« حضر السير وليم مالوك للعشاء . وكان أحد مستشارى لويد جورج فى التأمين القومى . وهو رجل مسن جدا وخطير وقور . ودخل هنرى معه فى مناقشة حافلة بالارقام والاحصاءات . واختلفا على مستوى تكاليف المعيشة . وكان على أن أتحدث الى رئيس هنرى ، وهو رجل اسمه دانستان ، مكسور الانف ، غير منتظم الوجه . وكل مايحسنه فيما أعتقد أن يبتسم . وخطر لى انه مستعد للاستجابة لاول حركة آتى بها . فلماذا لا أهرب من الصحراء التى تكتنفنى ولو مدة نصف ساعة ، انى لم انذر شيئا بخصوص انفرباء . كان نذرى ينصب فقط على الانقطاع عن موريس . وانا لا أستطيع أن اظل وحدى بمعزل بقية عمرى ، مع هنرى فقط ، ولا أحد يعجب بى أو يثيره وجودى

من ١٥ يولية الى ٢٣ يولية سنة ١٩٤٤

« تناولت الغداء مع دانستان فى مطعم خلوى

« تناولت كئوسا من الشراب مع دانستان فى البيت . وكان ينتظر حضور هنرى . وكل شىء كان يسير نحو الغاية . . .

« تناولت العشاء فى الخارج مع دانستان . حضر معى الى البيت بعد ذلك لتناول كأس من الشراب

« من ٢٢ يولية الى ٣٠ يولية سنة ١٩٤٤

« تكلم دانستان بالتليفون . جعلتهم يقولون انى غير موجودة .

www.ibtesamh.com/vb

قمت بجولة مع هنرى فى جنوبى انجلترا . اجتماعات متلاحقة مع رؤساء مراقبى الغارات والمهندسين حول المخابىء العميقة المسلحة تحت الارض . ومشكلتى الخاصة طول الوقت أن أتصنع الحياة . وفى قرية على الشاطىء نزل هنرى مع رئيس البلدية الى المخابىء تحت الارض . وبقيت أنا فى المدخل مع رئيس مراقبى الغارات فى القرية . لمست ذراعه وسألته سؤالا مضحكا عن المخابىء الفولاذية نجحت فى ايجاد رغبة لديه فى تقبيلى . لوى ذراعى وقبلنى بسرعة ثم ألقانى من يده كالمذعور وبدت عليه دهشة شديدة . فضحكت وقبلته . ولكنه أسرع بالابتعاد والدهشة البلهاء تفيض من ملامحه ونظراته

« وفى الليل ذهب هنرى لحضور مأدبة عشاء رسمية . طلبت من الترنك رقم موريس ورقدت على السرير انتظر الرد . وقلت للرب انى حافظت على نذرى ستة اسابيع رغم جميع الصعوبات . ولكن هذه المحافظة توشك أن تجعل منى امرأة ساقطة عاهرة . ان هذا تفتيت للشخصية ابشع من الانتحار . فهل يروق هذا يا رب لديك أكثر من حنثى بنذرى اليك فى لحظة جنون ؟ أيعجبك أن أصبح يارب مثل فتيات الحانات اضحك لكل انسان وارتمى على الرجال بغير تمييز وبغير احصاء ، وبغير معنى وبغير جدوى أيضا ؟

« انى يا رب ان تلقيت صوته الآن سأعود اليه منذ الغد . والمسألة الآن بين يديك

« وسمعت صوت فتاة فأجفلت . نعم كنت أريد موريس أن يسعد . ولكن ليس بهذه السرعة ! واحسست غثيانا فى معدتى الى أن أسعفنى عقلى ومنطقى فقلت للفتاة انى أريد التحدث الى مستر بندركس فأجابت انه سافر لمدة أسابيع قليلة . وانها استأجرت مسكنه تلك المدة

« ووضعت المسماع وانا اشعر أن الرب أبدى رأيه للمرة الثانية . وبدأ ايمانى بوجود الرب يزداد قوة . ومع ازدياده ازداد خوفى ورعبى من ارادته . لماذا يصر على تعذيبنا ؟ وما دام موجودا فهل يريدنى أن أكرهه وقد اكتشفت وجوده ؟ انه لم يكتب لى أى توفيق فى محاولة الهرب من وحشتى وعزلتى مع دانستان . حتى ولا مع مراقب الغارات الابله . فماذا يريد منى أن أفعل ؟

www.ibtesamh.com/vb

« وفى الليلة التالية أيضا كان هنرى بعيدا عنى بسبب العمل . وخلوت الى الرب اسأله ماذا يريد ؟ ان هنرى طيب ومحب حتى لاعدائه فلماذا لاتكتب له السعادة ؟ انه قرة عين لك بطيبته . فلماذا تتمسك باقحام مثلى فى حياته وانا لست الا كلبة خبيثة النفس والرغبات ؟..

١٢ سبتمبر سنة ١٩٤٤

« انتهيت من الصراع الى حالة ركود آسن . اشترى أشياء منذ عودتى الى لندن بغير تفكير ، وأتناول غذائى فى نادى السيدات . وادخل السينما . الى أن يعود هنرى فى السابعة . وقد اقطع الوقت بتناول كأسين وحدى فى البيت . انى افرط فى الشراب الآن قليلا فهل يجب أن اتخلى عن الشراب أيضا ؟وان تخليت عن كل شىء تماما فكيف تكون حياتى ؟ انى كنت شخصا يحب موريس ويصحبه ويعاشره ويصحب الرجال ويستمتع بالشراب . فماذا يحدث أن اسقطت جميع هذه الاشياء التى تكونت منها خيوط حياتى ؟..

حضر هنرى . وكان يبدو مسرورا ويريد منى أن أسأله عما يسره . ولكنى لم افعل . واخيرا أخبرنى من تلقاء نفسه انه ظفر بترقية ووسام يرشحه فى عيد الميلاد القادم للقب سير ثم سألنى بفرح ساذج :

ــ ألا يسرك ان تصبحى الليدى مايلز ؟

وقلت فى نفسى بغيظ :

ــ كل ما اتمناه من الدنيا أن أصبح مسز بندركس . ولكنى تركت هذا الامل نهائيا الى الابد . وماذا سيكون من أمرى ان أصبحت ليدى مايلز التى ليس لها عشيق ولا تستطيب الشراب أو لاتفرط فيه بل كل ماتفعله أن تتحدث الى شيوخ الموظفين والكبراء عن المعاشات والتموين واسعار المعيشة ؟

وفى الليلة الماضية نظرت الى هنرى وهو نائم . ومن الغريب أننى منذ أصبحت مايسميه القانون « زوجة خائنة » ، أنظر اليه باعزاز كأنه طفل فى حاجة الى حمايتى . ولكن الآن وقد اصبحت فى العرف القانونى غير مجرمة انظر اليه بغيظ

www.ibtesamh.com/vb

« لهنرى الآن سكرتيرة جديدة تطلبه أحيانا فى البيت . وخطر لى فسألته :

ـ ألم تحدث لك أى صلة غرامية بسكرتيره ؟

ـ صلة غرامية ؟

ـ نعم . علاقة من نوع معين

ـ كلا بالطبع . ما الذى جعلك تفكرين فى شىء كهذا ؟

ـ لا أدرى . مجرد تساؤل

ـ انى لم أحب أبدا أى امرأة أخرى

ثم شرع يقرأ صحف المساء . وشرعت أفكر هل زوجى الفاضل عاطل من كل ما يثير فى امرأة الرغبة فيه ؟ ماعداى طبعا ، فقد رغبت فيه يوما ما لسبب ما نسيته الآن . ولكنى كنت صغيرة لم ينضج ذوقها بعد . انى غريبة الاطوار . حين كنت احب موريس واسعد معه كنت أشعر باعزاز لهنرى . هو نوع من الحب . والآن وأنا ما يسمونه امرأة فاضلة عفيفة لا احب هذا ولا ذاك . وعلى الاخص زوجى الفاضل هنرى !

لغز الحب

« ٨ مايو سنة ١٩٤٥

« ذهبت الى حديقة سان جيمس فى المساء . وجلست على حافة الماء الذى انعكست عليه أضواء الاحتفال بالنصر . لم يهتف أحد أو يغنى أو يعربد . بل كان الناس جالسين اثنين اثنين على العشب وقد تلامست أيديهم فى سرور هادىء بالسلام

وقلت لهنرى انى لا أحب السلم . فكان جوابه انه لا يدرى أين سينقلونه بعد الغاء وزارة الامن الداخلى . وهو يفضل على كل حال وزارة الداخلية . وبعد ذلك ظهرت الاسرة المالكة فى شرفة سان جيمس . فوقف الجمهور وانشد النشيد الملكى بكل فخامة واحتشام . فليست هذه الاسرة زعماء مثل هتلر او ستالين أو روزفلت . انهم مجرد أسرة مسالمة لم تؤذ أحدا . وتمنيت لو كان موريس بجانبى . تشوقت بشدة أن أكون أيضا عضوا فى أسرة هى أسرتى الطبيعية الحقيقة

وقال هنرى :

www.ibtesamh.com/vb

ـ شيء مؤثر جدا ، أليس كذلك ؟ أظننا سنستطيع الآن ان ننام نوما هادئا فى الليل

كأنما كنا نصنع شيئا غير ذلك من قبل

١٦ سبتمبر سنة ١٩٤٥

منذ يومين كنت أفرغ حقيبة يدى القديمة فى حقيبتى الجديدة ، التى اشتراها لى هنرى فجأة ، هدية بمناسبة السلم ، واظنها كلفته كثيرا . ووجدت فى الحقيبة القديمة بطاقة بها « ريتشارد سمايذ » وتحتها عنوانه رقم ١٦ شارع سيدار : أى استشارة خاصة للحديث والمناقشة مجانا من ٤ الى ٦ مساء

فقلت فى نفسى : لماذا لا أجرب هذا الدواء الجديد من رجل ضد الدين والايمان ، بعد أن قوض حياتى الايمان الطارىء والنذر الجنونى . فلعله يستطيع أن يقنعنى أنه لا اله هناك ، وبالتالى لا معجزة ولا نذر . وعندئذ سأبادر بالكتابة الى موريس اسأله صراحة ان نستأنف علاقتنا كما كانت . وربما تركت هنرى نهائيا. لا أدرى بالضبط فى الوقت الحاضر . فانى يجب أولا أن أكون متعقلة فلا اتصرف هستيريا فى هذا الموضوع ، كما تصرفت سابقا فى النذر . يجب أن أتروى ولا اندفع

« وذهبت فطرقت باب شارع سيدار . وانى أحاول الآن أن أتذكر ما حدث

« صنعت مس سمايذ الشاى ثم تركتنى وحدى مع أخيها الذى سألنى ما هى متاعبى . وكنت جالسة على أريكة . أما هو فجلس على مقعد صلب وفى حجره قطة يمسح على شعرها . ان له يدين جميلتين . لا أحبهما ! انى أحببت تقريبا الوحمة الحمراء أكثر من يديه . ولكنه تعمد ان يجلس بحيث أرى خده السليم

ـ ألك أن تخبرنى لماذا أنت متأكد هكذا من عدم وجود اله ؟

فلبث يرقب لحظة يديه تداعبان القطة . وشعرت بالاسف له لأنه كان فخورا جدا بيديه . فلو لم يكن وجهه موصوما ربما لم يكن له هذا الفخر

ـ ألم تسمعينى أخطب فى الحديقة العامة ؟

ـ بلى .. سمعتك ...

www.ibtesamh.com/vb

ـ انى مطالب هناك ان اتكلم بكل تبسيط لان غرضى كله ان يفكر الناس لانفسهم بناء على اثارتى لعقلهم . فهل بدأت تفكرين لنفسك؟

ـ أظن هذا . . .

ـ على تعاليم أى كنيسة تربيت ؟

ـ لا على أى كنيسة

ـ أنت لست اذن مسيحية ؟

ـ عمدونى فيما أظن وانا صغيرة . مجرد تقليد اجتماعى

ـ مادام ليس لديك أى عقيدة فما حاجتك الى مساعدتى ؟

لماذا فعلا ؟ لم أستطع أن اخبره عن موريس وهو تحت الباب. ولا عن نذرى . ليس الآن على كل حال . ثم كم من نذر أو وعد أخلفته فى حياتى . فلماذا أحرص على هذا الوعد بالذات كأنه زهرية قبيحة الشكل اهدانى اياها صديق . وانا أنتظر كل يوم أن تكسرها الخادمة عفوا . ويمضى عام وراء عام والخادمة تكسر كل ماهو ثمين وجميل الا هذه !

انى فى الحقيقة لم أواجه هذا السؤال من قبل . وهاهو يكرره . فقلت :

ـ لست واثقة اننى بلا عقيدة . ولكنى لا أريد ان تكون لى عقيدة

ـ اذكرى لى التفاصيل

« ولأنه نسى يديه وعجبه بهما ثم التفت نحوى بخده المشوه الموصوم ، وجدت نفسى أطرح جميع الحواجز امام رغبته الصادقة فى مساعدتى الى درجة نسيانه نفسه ، ورحت أحدثه بليلة الغارة والطوربيد والنذر الابله ، فقال :

ـ وهل تعتقدين حقا انه ربما حدثت معجزة ؟

ـ نعم . .

ـ فكرى فى آلاف الناس فى أنحاء العالم الذين يصلون ولا تستجاب لهم صلاة

ـ كان هناك آلاف ماتوا فى فلسطين يوم مات لعازر . ومع هذا حدثت المعجزة له وحده . . !

ـ هذه حكاية لانصدقها فى هذا الزمن . لا انا ولا انت

www.ibtesamh.com/vb

ـ ولـكن ملايين الناس صدقوها . ولابد أنهم وجدوها معقولة

ـ أن النـــاس لايطلبون من الشيء ان يكون معقولا مادام يلمس عواطفهم . ولهذا فالعاشقون غير معقولين ولا عقلاء

ـ أتستطيع أيضا ان تفسر لى لغز الحب ؟

ـ نعم . بعض الناس لديهم شهوة الامتلاك مثل البخل . وهذا هو الحب الامتلاكى . وبعضهم الآخر تحدوهم فى الحب الرغبة فى التسليم ، والرغبة فى فقدان الاحساس بالمسئولية . أو الرغبة فى أن يكونوا موضع الاعجاب . أو مجرد الرغبة فى الـكلام مع شخص لا يشعر بالضجر من كلامهم . أو الرغبة فى استعادة حب أب أو أم ماتا . ثم هناك تحت هذه كلها طاقة حيوية هى الغريزة . ولـكن الغريزة مجرد قوة غير معينة تحرك هذه الاجهزة النفسية وتخدمها وتتكيف بها

وخيل الى ان هذا كله صواب . ولـكن اليس هنـاك شيء فوق ذلك كله ؟

انى أستطيع أن أقدر كل هذا فى نفسى . وفى موريس ايضا . ثم يبقى بعد ذلك شيء

ـ وحب الله ؟

ـ نفس الأمر . الانسان خلق الله على صورته . فمن الطبيعى جدا أن يحبه . انك تعرفين تلك المزايا التى تشوه الناظر فيها . ان الانسان صنع العكس مع الله . صـــنع مرآة تجميلية ينظر فيها فيرى نفسه أجمل واقوى واعظم عدلا واكثر حكمة . وهذا مايسميه الله . انها مجرد فـكرته المثالية عن نفسه . وهو فى مرآة التهريج يضحك على صورته المشوهة . أما فى مرآة الدين فيخشع ويعشق صورته المجملة

« ولم أتمالك نفسى وهو يتحدث عن المرآة التشويهية والمرآة التجميلية أن أفـكر فى سنوات حداثته وشبابه التى قضاها ينظر فى المرآة ويحاول ان يجعلها تجمله وتخفى تشويهه بتحويل صفحة وجهه هنا أو هناك . وعجبت لمـاذا لم يطلق لحيته بحيث تخفى هذه الوحمة . هل لان الشـعر لا ينمو فيها ام لانه يكره المراوغة والتمويه ؟..

www.ibtesamh.com/vb

« عندى فكرة انه رجل يحب الحق . ولكن هل يؤمن بهذا النوع من الحب ؟ والى كم نوع ينقسم حبه للحق ؟ الى رغبة فى تعويض هذه العاهة التى ولد بها . ورغبة فى القوة . ورغبة فى كسب الاعجاب تعويضا عن حرمانه من الاعجاب الجسدى والرغبة الجسدية . . .

« وساورتنى رغبة شديدة ان المس الوحمة بيدى . وان أرفه عنها بكلمات حب تدوم مادام هذا التشويه . وكان هذا شبيها بشعورى عندما رأيت موريس تحت الباب . أردت أن أصلى . وأقدم ضحية خارقة للمألوف لو أمكن فقط أن يشفى من هذه الوحمة . ولكن الآن لم تعد هناك تضحية فى حوزتى لاقدمها

ـ دعى يا عزيزتى فكرة الله بعيدا عنك . ان الموضوع كله ينحصر بينك وبين عشيقك وزوجك . فلا تخلطى بينكم وبين الاشباح

ـ ولكن كيف أبت فى الأمر مادمت تقول ان الحب لا وجود له ؟

ـ ستبتين على ضوء أى السعادتين تظنينها افضل لك على طول المدى

ـ أتومن بالسعادة ؟

ـ انى لا أومن بأى شىء مطلق ، كل شىء فى الوجود نسبى

وخطر لى ان السعادة الوحيدة التى يحظى بها هى هذه : احساسه انه يستطيع أن يريح وينصح ويعين ويعزى . احساسه انه نافع . وهذا مايدفعه كل أسبوع الى الحديقة العامة ليخطب الناس الذين لايأبهون له ولا يناقشونه ويزورون عن بطاقته ويلقونها على العشب . كم شخصا يا ترى يأتون اليه كما أتيت أنا اليوم ؟ وسألته :

ـ هل يزورك كثيرون ؟

وكان حبه للحق أكبر من كبريائه فقال :

ـ كلا . انك الاولى . . . منذ زمن طويل

ـ أفادنى كثيرا ان اتحدث اليك ، لقد زدت تفكيرى وضوحا

وكان هذا أقل ما أستطيع به ان أرضى فشله مع الناس فقال بحياء :

ـ اذا كان عندك وقت . فاننا نستطيع أن ننظم جلسات نناقش

www.ibtesamh.com/vb

فيها الامور من أساسها ... أعنى الادلة الفلسفية والتاريخية ..

« وراح يرقبنى بقلق ، وهو يخشى أن أنصرف فلا أعود كالباقين. ثم قال كأنه يتلمس شيئا يسيرا :

ـ ساعة واحدة فى الاسبوع . سوف تساعدك كثيرا

« وقلت فى نفسى أليس وقتى كله الآن فارغا ؟ انى اقرأ كتبا واذهب الى السينما . وأنسى الحروف والصور بعدها مباشرة . فذاتيتى وتعاستى تدوى فى اذنى وتملأ عينى طول الوقت . وقد نسيتهما فى رحمة هذا الرجل وتعاسته بضع دقائق . فلماذا أرفض ؟

ـ نعم . سآتى . وانه لكرم منك أن تمنحنى وقتك

وبهذا ألقيت فى حجره كل الرجاء والامل الذى استطعتهما . وانا أضرع فى سريرتى الى الله الذى يحاول ريتشارد أن يشفينى منه ومن الايمان به ، ان ييسر لى التخفيف عن هذا المسكين الوحيد المحروم

« ٢ أكتوبر سنة ١٩٤٥

« كان الجو حارا والمطر يتساقط . ولهذا دخلت الى الكنيسة المظلمة عند ركن شارع بارك لاجلس فى العتمة قليلا . وكان هنرى فى البيت . ولم أرد أن أراه . انى أحاول ان أكون لطيفة على مائدة الافطار . ولطيفة على الغذاء حين يتغذى فى البيت . ولطيفة على العشاء . وأحيانا أنسى ذلك . فيكون هو على الدوام غاية فى اللطف. اننا شخصان تعودنا اللطف معا مدى العمر

ولما دخلت وجلست فى الظلام تبينت انها كنيسة كاثوليكية مليئة بتماثيل من الجبس والرسوم الرديئة فنيا . ولم تعجبنى التماثيل ولا الصليب ولا كل هذا الالحاح الكاثوليكى على الجسد وآلامه وما يحدث له . انى فى حالة أريد فيها لو هربت من الجسد البشرى وكل ما يتصل به ويحتاج اليه . وخطر لى أنى مستطيعة أن أعتقد بوجود اله لا شبه بينه وبيننا . باله كونى ليس كالناس أو الاشياء . الى هذا الاله توجهت بالنذر . وهذا الاله هو الذى منحنى مقابل نذرى شيئا لايستطيعه سواه . وهذا هو العقد المبرم بينى وبينه . وفى يوم من الايام حين ينحل هذا الجسد سوف أرتد بوجودى الى وجوده الشامل غير المحدود

« كلا لا رغبة بى فى بعث بعد الموت بجسدى هذا البشرى . لاأريد

www.ibtesamh.com/vb

المأساة مرة أخرى . ولا أريدها على الخصوص فى الابدية . انى ضيقة بهذا الجسد هنا فكيف يستهوينى ان احتفظ به الى الابد بالبعث الجسدى ؟

وفجأة تذكرت كلمة لريتشارد عن الناس وكيف يخترعون المذاهب لارضاء رغباتهم . فلو كان هذا صحيحا لاخترعت مذهبا يفنى به هذا الجسد وينحل ولا يولد مرة أخرى ببعث أو تناسخ

ثم انتقل تفكيرى من جسمى الى جسم موريس . وتذكرت تلك الغضون التى خطتها الحياة على وجهه بطابع شخصى كطابع سطور كتابته . وتذكرت أثر جرح فى كتفه ما كان ليوجد هناك لو لم يحاول أن يحمى جسم رجل آخر من جدار منهار فوقه . ولم يخبرنى موريس لماذا لبث فى المستشفى ثلاثة أيام . واخبرنى هنرى . وكان هذا الجرح جزءا من شخصيته مثل غيرته تماما

« وسألت نفسى هل أريد لجسمه أيضا أن يصبح هباء ؟ انى أريد ذلك لجسمى . ولكن جسمه ؟ وشعرت أننى أريد لاثر هذا الجرح أن يظل موجودا مدى الابد ، ولكن هل يستطيع البخار الذى استحال اليه جسمى أن يحب هذا الاثر عندئذ ؟

« وهنا بدأت أريد استقباء هذا الجسد الذى كرهته . ولكن فقط . ليستطيع أن يحب أثر هذا الجرح فى جسده . اننا نستطيع أن نحب بعقولنا . ولكن هل نستطيع فقط أن نحب بعقولنا ؟ ان الحب يبسط نفسه باستمرار حتى اننا نستطيع أن نحب بأظافرنا التى لا احساس فيها . ونحب بثيابنا ، حتى ان الكم قد يحس بالكم !

« ربما كان ريتشارد على حق . ربما كنا اخترعنا مذهب البعث بالجسد لاننا محتاجون الى أجسادنا . وعندئذ رضيت عن هذه التماثيل التى تشبه الشعر الرديء . اننا لانصدقه ولكن حاجتنا الوجدانية هى التى جعلتنا نكتبه . وقمت ومشيت فى الكنيسة أنظر الى التماثيل واحدا بعد الاخر . والى جانب اسوئها صنعا رأيت رجلا كهلا يصلى والى جانبه فى وعاء أعواد من الشمع . فاخذت واحدا منها واشعلته . وعندما خرجت من الكنيسة فعلت ما تفعله قرويات أسبانيا المتدينات . غمست اصابعى فيما يسمونه وعاء الماء المقدس . ورسمت به على جبينى علامة اشبه بعلامة الصليب »

www.ibtesamh.com/vb

موريس يعود

١٠ يناير سنة ١٩٤٦

« لم أستطع أن أطيق البيت هذه الليلة ، لهـذا خرجت اتمشى تحت وابل المطر . وتذكرت الوقت الذى غرست فيه اظافرى فى راحتى يدى . ولم أكن أدرى ماذا صنعت ، ولـكنك يارب تحركت لهذا الألم . وقلت لك :

ـ أحيه يا رب !

« ولم أكن معتقدة بوجودك حقـا . بيد أن كفرانى لم يغير من قيمة صلاتى فى نظرك . فتقبلتها بمحبتك كما كانت تقدمة وقربانا. والليلة تغلغل المطر مخترقا معطفى وجلدى وارتعدت من البرد . ولكنها كانت المرةالاولى تقريبا التى أحببتك فيها.فقد مشيت تحت نوافذك فى المطر واردت أن أنتظرتحتها طول الليل لاريك أننىتعلمت بعد كل شىء كيف أحب . ولم أعد خائفة من الصحراء لانك معى هناك ...

« وعدت الى البيت . وهناك وجدت موريس معهنرى . فكانت هى المرة الثانية التى رددته فيها الى

« فى المرة الاولى كرهتك بسببها . ولـكنك أخذت كراهيتى كما أخذت كفرانى لدى محبتك وحفظتهما لتريهما لى فيما بعد حتى نضحك معا من حماقتى . كماكنت اضحك أحيـــانا مع موريس لذكرى هفواتنا الماضية واقول له :

ـ أتذكر يا حبيبى كيف كنا أبلهين ؟

١٨ يناير سنة ١٩٤٦

تناولت الغـــذاء مع موريس للمرة الاولى منـــذ عامين . كلمته بالتليفون وطلبت منه أن يلقـــانى . وتأخر الاوتوبيس بى بسبب ضغط المرور عشر دقائق . وشعرت بالخوف الذى طالما شعرت به فى الايام الخوالى منأن يحـدث شىء يعكر صفو اليوم فيغضب منى . أما أنا فالقدرة على الغضب يبدو انها ماتت عندى .

كنت أريد أن القاه لاســأله عن هنرى . فانى أرى هنرى أمسى غريبالاطوار . كانغريبا منه حقا أن يخرج هكذا من البيتويتناول

www.ibtesamh.com/vb

الشراب فى حانة عامة مع موريس . فهنرى لا يتناول الشراب مطلقا الا فى البيت أو فى ناديه الخاص

« وظننت انه ربما افاض فى الحديث بمتاعبه الى موريس على الشراب وعجبت لانه كان قلقا من جهتى . فلم يحدث مطلقا ان كان هناك موجب لقلقه فى هذه الاثناء اكثر مما كان فى أى لحظة منذ زواجنا

« كنت أظن اننى اريد أن ألقى موريس من أجل هذه الاسئلة كلها . ولكن لما صرت معه بدا انه ليست لوجودى معه أى أسباب أو غاية . فوجودى معه هو سبب الاسباب وغاية الغايات

لم اكتشف شيئا بخصوص هنرى وبين الحين والحين كان يحاول أن يؤلمنى . وافلح فى ذلك لانه كان فى الواقع يؤلم نفسه . وانا لا أحتمل ان ارقبه يؤلم نفسه

« أترانى حنثت بنذرى لله اذ تناولت الغذاء مع موريس ؟

« كان من الممكن منذ عام ان أظن ذلك . أما الآن فلا كنت فى تلك الايام حرفية جدا بخصوص هذا النذر لانى كنت خائفة وكنت لا ادرى شيئا عن الحقيقة التى وراء ذلك كله ولانه لم تكن عندى ثقة فى الحب

« تغذينا فى مطعم رولز . وكنت سعيدة بمجرد وجودى معه . ولم أشعر بالشقاء الا لحظة واحدة وانا اقول له وداعا فى ذلك المدخل المعتم بحارة لين . ظننت انه سيقبلنى . وتشوقت الى ذلك . واذا بنوبة سعال تنتابنى . ومرت اللحظة . وأدركت وهو يبتعد ان آلاف الاشياء التى لا تمت للحقيقة تدور فى رأسه . وان ذلك آلمه . فآلمنى أن يتألم

« أردت أن أبكى من غير أن يلحظنى أحد . وتوجهت الى متحف الصور القومى . ولكن اليوم كان مخصصا للطلاب . فرجعت الى حارة لين ثم الى الكنيسة التى أعلم انها على الدوام مظلمة بحيث لا تتبين فيها وجه جارك . وهناك جلست

« وكانت الكنيسة خالية الا منى ومن رجل قصير دخل وركع يصلى بهدوء ورائى ولم أصل . فقد افرطت فى الصلاة قديما . بل قلت للرب كأنى اتحدث الى أبى لو كان موجودا أو لو كنت اتذكره :

ـ ربى العزيز . كم انا مجهدة ...

www.ibtesamh.com/vb

٣ فبراير سنة ١٩٤٦

« رأيت اليوم موريس . ولكنه لم يرني وتتبعته ، وكنت قد قضيت ساعة فى شارع سيدار . ساعة طويلة تسكعت دقائقها بتثاقل وانا أحاول ان أتتبع حجج المسكين ريتشارد . وعلى الدوام أجد نفسى استخرج منها حججا عكسية أو احساسا داخليا بالايمان، فهل يمكن انَ يكون انسان متحمسا بهذه القوة والحرارة كتحمس ريتشارد ضد شيء لا وجود له ؟

« وخرجت من عنده وانا أشعر بالتعب واليأس . لقد بدأت أتردد عليه لاتخلص من الاعتقاد فى الغيبيات فاذا كل اجتماع بيننا يزيد اعتقادى عمقا ــ انا فى الواقع التى كنت أحاول مساعدته بايهامى انه يساعدنى

« لم يخطر ببالى طول الساعة التفكير فى موريس ، واذا بى اصادفه فى الطريق فجأة . وأدركت انه فى طريقه الى البار الذى طالما ترددنا عليه معا ايام علاقتنا ، وكنت أدرى كيف سيدخل وماذا سيطلب

« ترى هل أدخل وراءه ثم أطلب مشروبى المعتاد على حدة . ويلتفت وراءه وتبدأ الدوامة من جديد ؟

« ان الظروف تبدو مغرية . ففى استطاعتى بعد ان أعود الى البيت من البار ان اتصل به تليفونيا بمجرد خروج هنرى فيخف الى ، وسيكون فى وسعنا ان نقضى الأمسية معا كلما أخبرنى هنرى انه سيتأخر فى العودة . بل ربما فكرت ايضا ان أهجر هنرى ، سوف لا يكون عندى مال اقدمه معى الى موريس ، وكتبه فيما أعلم لا تدر عليه أكثر كثيرا مما يكفيه بمفرده ، ولكنى لو ساعدته بجهودى فى عمله لاستطعنا أن نوفر من بند الكتابة على الآلة الكاتبة وحدها خمسين جنيها فى العام ، وانا لا اخشى الفقر

« ووقفت عند رأس الشارع أرقبه وهو يتجه الى باب البار ، وقلت للرب ان يتصرف . فان التفت موريس وراءه ورآنى سأمضى اليه

« ولم يلتفت موريس وراءه

ودرت على عقبى لأعود الى البيت ولكنى لم استطع ان اطرده من ذهنى ، لقد ظللنا عامين تقريبا غريبين ، لا أدرى ماذا يصنع بالضبط

www.ibtesamh.com/vb

فى لحظة معينة من النهار ، ولكنه لم يعد الآن غـريبا ، فعاداته أعلم الآن انها كما هى . انه سيطلب كأسا ثانيا من البيرة ثم ينهض ويدخل احدى الحجرات المنعزلة ويبدأ فى الكتابة ، انى أعرف جيدا عاداته القديمة واحدة واحدة وأحبها كمـا يحب الانسـان معطفا عتيقا ؛ وذلك انى اشعر فى ألفة هذه العادات بالحماية والأمن . فما كنت يوما أسيغ الغرابة

« وفكرت كيف انه فى استطاعتى أن أسعده وبكل سهولة، وتمنيت أن أراه مرة أخرى يضحك مسرورا مبتهجا

« وكان هنرى فى الخارج لارتباطه بموعد للغذاء واتصل تليفونيا ليقول انه سوف لا يعود قبل السابعة . فى استطاعتى ان انتظر الى منتصف السابعة ثم أكلم موريس بالتليفون وأقول انى سآتى اليه هذه الليلة وجميع الليالى التالية لأنى تعبت من الحيـاة من غيره ؛ سأحزم حقيبتى الكحلية الكبيرة وحقيبتى البنية الصـغيرة وآخـذ معى ثيابا تكفينى لاجازة قدرها شهر ، وهنرى رجل دمث متمدين؛ فبانقضاء الشهر سيكون قد أعد جميع الترتيبات القانونية للطلاق؛ وستكون مرارة الصدمة الأولى قد زالت فأستطيع أن أحصل من البيت على كل ما أريد وعلى مهل ، وسوف لا يكون الأمر قاسيا على هنرى . لأننا لم نعد عاشقين ، فالزواج بيننا استحال بسرعة الى صداقة ، وبعد فترة وجيزة من الطلاق يمكن ان تستأنف الصداقة بيننا كما كانت

« وفجأة شعرت انى حرة وسعيدة . وسوف لا أزعج نفسى بعد الآن يارب هل أنت موجود أو غير موجـود ، وهل منحت موريس فرصة الحياة بمعجزة حقا أم الأمر كله وهم . وربما على كل حال كانت هذه هى الفرصة الثانية التى طلبتها له ، وهذا نذرى لك أن أسعده يا رب . فان كان الأمر يهمك وكنت قادرا على منعى فامنعنى!

« وصعدت الى حجرتى وبدأت أكتب الى هنرى :

« عزيزى هنرى ، أخشى أن يكون خطابى هذا صدمة لك . ولكن الحقيقة اننى طيلة السنوات الخمس الأخيرة وانا أعشـق موريس بندركس ، وفى العامين الأخيرين لم نتقابل ولم نتراسل ولكن الحياة لم تسر على هذا المنوال كما يرام ، لا استطيع الحياة سعيدة من غيره ولهذا رحلت ، وأنا عالمة انى لم أكن زوجة منذ زمن طويل ، ولكن

www.ibtesamh.com/vb

أسوأ من هذا بالنسبة لى انى لم اكن عشيقة منذ يونية سنة ١٩٤٤، وكنت أظن حين بدأت هذه العلاقة الغرامية انى قد اتلافى بها الجدب الذى فى حياتنا الزوجية ثم ينتهى أمرها بالخمول تدريجيا حتى تموت ، ولكن الواقع اننى احب موريس الآن أكثر مما كنت احبه سنة ١٩٣٩ ! . واعلم انى كنت طفلة ، ولكن أدركت الآن اننا لسنا كالأطفال فلا يصح ان نأمل فى الاحتفاظ بكل شىء فى وقت واحد بل يجب علينا ان نختار طريقنا فى وقت ما حتى لا يشيع الاضطراب فى كل شىء ، وداعا وليباركك الرب . »

« ثم شطبت كلمة فليباركك الرب شطبا عميقا فان هنرى لا يؤمن بالرب ، ثم فكرت ان اضع له كلمة لك محبتى ولكنها بدت غير مناسبة مع انها صادقة ، فانى احب هنرى على طريقتى الخاصة

« ووضعت الخطاب فى المظروف وكتبت عليه شخصى جدا وانا اعتقد ان ذلك سيجعله لا يفتحه فى حضور أحد ، لأنه ربما أحضر معه الى البيت صديقا ولا أريد ان أكون سببا فى جرح كرامته

« وجذبت الحقيبة وبدأت أحزم اشيائى . ثم فكرت فجأة اين وضعت الخطاب ووجدته على الفور أمامى ولكنى خشيت فى عجلتى عند الخروج الا اضعه فى البهو فنزلت بسرعة لأضعه فى البهو . فأمامى نصف ساعة قبل حضور هنرى ولم يبق من ثيابى التى سآخذها الا ثوب السهرة

« وما كدت اضع الخطاب على مائدة البهو فوق بريد بعد الظهر حتى سمعت مفتاحا فى الباب . فخطفت الخطاب لا أدرى لماذا ووضعته فى جيبى ، ودخل هنرى ظاهر الاعياء كأنه مريض ، وقال لى :

ـ أنت هنا ؟

« ثم مر بجانبى ودخل الى مكتبه رأسا وانتظرت لحظة ثم تبعته الى هناك ، وقلت فى نفسى لا بد ان اعطيه الخطاب الآن مهما تطلب الأمر من شجاعة ولما فتحت الباب وجدته جالسا فى مقعده بجوار النار ولم يفكر فى ايقاد النور . وكان يبكى

ـ ماذا جرى يا هنرى ؟

ـ لا شىء . عندى صداع شديد ليس الا

www.ibtesamh.com/vb

فأشعلت له نار المدفأة وقلت :

ـ سأحضر لك الفيجانين

ـ لا تتعبى نفسك ، لقد تحسنت فعلا

ـ كيف كان نهارك ؟

ـ كالعادة تعبت . قليلا

ـ من الذى كان معك على الغذاء ؟

ـ بندركس

ـ بندركس ؟

ـ ولم لا ؟ لقد دعانى على الغذاء فى ناديه ، وكان غذاء سيئا فظيعا

« فدرت خلفه ووضعت يدى على جبينه . وكان هذا شيئا غريبا ما فعلته قبل ان أتركه الى الأبد ، وكان من عادته ان يفعل ذلك لى فى عهد زواجنا الأول وكان ينتابنى صداع عصبى لأن الحياة الجديدة لم توافقنى ، وكنت اتصنع ان هذه الطريقة تشفينى

« ورفع هنرى يده وضغط على يدى فوق جبينه وقال :

ـ أحبك . أتعلمين هذا ؟

ـ نعم

« ولكنى كنت ناقمة عليه . فلو كان يحبنى حقا لفعل ما يفعله أى زوج مطعون كان حريا ان يغضب ، وكان غضبه حريا أن يحررنى

ـ لا أستطيع الحياة من غيرك يا سارة

« وكان على لسانى ان أعارضه نعم ستكون الحياة غير يسيرة بدونى ولكنها ممكنة . لقد غيرت يا هنرى صحيفتك اليومية مرة . ثم لم تلبث ان تعودت على الصحيفة الجديدة ، فكلامك هذا كلام تقليدى من زوج تقليدى وليس له معنى حقيقى . ثم نظرت الى وجهه فى المرآة فوجدته لم يزل يبكى

ـ هنرى . ماذا جرى ؟

ـ قلت لك لا شىء

ـ لا اصدقك . هل حدث شىء فى الديوان ؟

فقال بمرارة خارقة :

ـ وأى شىء يمكن ان يحدث هناك

www.ibtesamh.com/vb

ـ هل ازعجك بندركس بشيء ؟

ـ كلا طبعا . وكيف يستطيع ؟

« وأردت ان آخذ يده فى يدى . ولكنها بقيت تضغط حيث هى . وكنت خائفة مما سيقوله بعد ذلك . ومن الاثقال الباهظة التى يلقيها على ضميرى . لا بد أن موريس فى بيته الآن . فلو لم يكن هنرى عاد فى هذه اللحظة لكنت الآن مع موريس منذ خمس دقائق . ولواجهت السعادة ولم أواجه الشقاء . وقلت لهنرى :

ـ انك لا يمكن ان تؤمن بالشقاء ما لم تره رأى العين . تستطيع أن تؤلم أى انسان عن بعد اما عن قرب فلا

وقال هنرى بعد ذلك :

ـ يا عزيزتى انى لم أكن زوجا بما فيه الكفاية

ـ لست فاهمة ماذا تعنى

ـ انى ثقيل الظل . وكذلك أصدقائى ، ونحن كما تعلمين لنا مدة طويلة لم ...

ـ هـذه الاشـياء لا بد لها ان تتوقف يوما فى أى زواج . فنحن صديقان

« وكانت الصداقة هى منفذى للافلات ، لأنه متى وافق عليها ، سأعطيه الخطاب ثم أغادر البيت . ولكنـه لم يعلق ، وهكذا أغلق الباب مرة أخرى دون موريس ، ولكنى فى هذه المرة لا أستطيع ان ألقى المسئولية على الرب . لأنى أنا التى أغلقت الباب بيدى

« قال هنرى :

ـ لا يمكن ان أفكر فيك كصـديقة . لأنك لست محتاجـة الى صديق

« وتطلع الى عن طريق المرآة حتى التقت عينانا ، وقال :

ـ لاتتركينى ياسارة . استمرى بضعة أعوام أخرى وسأحاول . .

« طبعا كان من الخير لكلينا لو اننى فارقته منذ سنوات . ولكن لا أستطيع ان أصدمه الآن وهو ماثل أمامى . وسيظل ماثلا أمامى لأننى رأيت شقاوته وجها لوجه . فقلت له :

ـ لن أتركك . أعدك بهذا

« وهذا وعد آخـر تورطت فيه . وبعـد ان نطقت به لم أطق

www.ibtesamh.com/vb

البقاء . لقد ربح وخسر موريس . وكرهته لانتصاره ، فهل كنت حرية أن اكره موريس لو كان فى نفس الوضع ؟

« وصعدت الى حجرتى ومزقت الخطاب قطعا صغيرة حتى لا يقدر أحد ان يجمع شتاته . ثم دفعت الحقيبة بقدمى تحت الفراش لأنى كنت فى حالة من التعب لا تسمح لى باعادة ثيابى الى مواضعها ، ثم جلست اكتب هذه السطور فى مذكراتى : « ان موريس تتسرب آلامه فى كتابته فتستطيع ان تسمع أعصابه ترن وتهتز خلال عباراته . فاذا كان الألم يخلق كاتبا . فها انا اتعلم الكتابة . ليتنى أستطيع ان أتحدث اليك مرة واحدة يا موريس . فانى لا استطيع ان أتحدث الآن الى هنرى ، ولا الى اى أحد . فدعنى يا ربى العزيز اتكلم !

« بالأمس اشتريت صليبا صغيرا قبيح الشكل . والآن حاولت اخراجه من صندوق مجوهراتى . وليتنى اعرف صلاة سوى صراخى « أنا أنا أنا . ساعدنى . انقذنى . اسعدنى . دعنى أموت سريعا سريعا . »

— يسر لى يا رب ان افكر فى شىء سوى نفسى . دعنى افكر فى وحمة الفراولة على خد ريتشارد . دعنى أرى وجه هنرى والدموع تتساقط فوقه كى أنسى نفسى ، يا ربى العزيز ! انى حاولت ان أحب وفشلت ، فان استطعت أن احبك أنت سأتعلم من ذلك كيف أحبهم ، انى اصدق الأسطورة . بحذافيرها اصدق انك ولدت من عذراء وانك مت من اجلنا ، انت الرب فعلمنى كيف أحب . انى لا ابالى بالألم انى لا أبالى المى أنا . أما المهم فلا استطيع ان اتحمله . دع المى يستمر ويمضى فى طريقه قدما ولكن اوقف آلامهم آه يا رب لو أنك أستطعت أن تنزل من فوق صليبك برهة وآخذ مكانك فى الالم والعذاب على الصليب . فانى ان استطعت أن اتعذب مثلك . فسيكون فى استطاعتى أن اشفى كما كنت تشفى

من ٤ فبراير الى ٦ فبراير سنة ١٩٤٦

« لم يذهب هنرى اليوم الى العمل . لا ادرى لماذا . اخذنى الى الغذاء فى الخارج ثم الى المتحف الاهلى للفن وتناولنا عشاء باكرا وذهبنا الى المسرح ، كان مثل الأب الذى ذهب الى المدرسة الداخلية

www.ibtesamh.com/vb

ليأخذ طفله الى النزهة فى المدينة . ولكنه فى الواقع كان هو الطفل

« هنرى يضع برنامج أجازة نقضيها فى الخارج فى فصل الربيع معا . ولم يبت حتى الآن هل نقضيها فى أقليم اللوار الفرنسى أو فى المانيا حيث يستطيع أن يعد تقريرا عن روح الألمان المعنوية تحت القنابل . ستكون الرحلة فى الربيع ، كم اتمنى الا يأتى الربيع

٦ فبراير سنة ١٩٤٦

« حدث اليوم خلاف شديد بينى وبين ريتشارد . كان يحدثنى بكل حماسة عن التناقض بين المذاهب المسيحية والكنائس المختلفة.

وكنت أحاول أن أصغى ولكن لم أنجح تماما . ولاحظ ذلك ، فقال لى فجأة :

ـ لماذا تأتين الى هنا ؟

وقبل ان أتمالك نفسى أجبته بسذاجة :

ـ كى أراك . . .

ـ ظننتك تأتين لتتعلمى

« فقلت له : ان هـذا ما اعنيه . وأنا واثقة انه لم يصدقنى . وخشيت أن تتأذى كبرياؤه ويغضب . ولكنه لم يغضب اطلاقا . بل نهض من مقعده الصلب وجلس بجوارى على الأريكة من الناحية التى لا أرى منها خده المعطوب وقال :

ـ ان رؤيتك كل اسبوع كانت تعنى شيئا كثيرا جدا عندى

« وعندئذ أدركت انه سوف يطارحنى الغرام . ووضع يده على معصمى وسألنى :

ـ أتميلين الى ؟

ـ طبعا ياريتشارد . والا لما حضرت الى هنا

ـ أتتزوجيننى ؟

« وجعلته كبرياؤه يوجه هذا السؤال كأنه يسألنى هل لى رغبة فى قدح آخر من الشاى . فقلت وأنا أحاول أن أصرف المسألة بالضحك :

ـ ربما كان لدى هنرى اعتراض

ـ الا يستطيع شىء ان يجعلك تتركين هنرى ؟

www.ibtesamh.com/vb

وقلت فى نفسى بغيظ « ان كنت لم اتركه من أجل موريس فلماذا بحق الجحيم ينتظر منى ان اتركه من اجلك ؟ » ولكنى قلت بصوت مسموع :

ـ انى متزوجة

ـ هذا لا يعنى شيئا عندك أو عندى

ـ بل يعنى شيئا انى ...

ووجدت اننى لا بد ان اصارحه بما سيراه كارثة يوما ما

ـ انى اومن بالله . وبسائر ما تسمية خرافة ، انت الذى علمتنى هذا . انت وموريس علمتمانى

ـ لست فاهما

ـ انك كنت دائما تقول ان القسس علموك أن تكفر . اذن يمكن أن يحدث العكس أيضا . يعلمنى الكافر أن أومن :

فنظر الى يديه الجميلتين ، فهما ما بقى له . ثم قال ببطء شديد:

ـ انا لا يعنينى ماذا تعتقدين . ولك ان تعتقدى بجميع الخرافات ولا اكترث بذلك فتيلا . ولكنى احبك يا سارة

ـ انى آسفة

ـ احبك أكثر مما اكره الخرافات . احبك حتى لو انجبت منك أطفالا فسأتركك تربينهم على الايمان

ـ لا ينبغى ان تقول هذا

ـ انى لست غنيا . فالمهر أو الرشوة الوحيدة التى استطيع تقديمها لك هو التخلى عن رسالتى واعتقادى

ـ انى أحب شخصا آخر ياريتشارد

ـ لا يمكن أن يكون حبك له شديدا وأنت ترين نفسك مقيدة بهذا النذر الأبله

ـ لقد فعلت جهدى لأكسره . ولكن لم افلح

ـ اتظنينى ابله ؟

ـ ولماذا اظنك ابله ؟

ـ لأنى اتوقع منك ان تحبى رجلا له هذا

ثم ادار نحوى خده المشوه ، واستطرد بمرارة :

ـ انت تؤمنين بالله ، وهذا يسير عليك، انك جميلة . ولا ينقصك

www.ibtesamh.com/vb

شيء . ولكن لماذا أحب انا الها نكب طفلا بشيء كهذا ؟

ـ يا عزيزى ريتشارد . ليس الامر بهذا المبلغ من السوء . . .

وأغمضت عينى ثم وضعت فمى على الوحمة . وشعرت بغثيان برهة لأنى أفزع من التشويه . وجلس هو ساكنا وتركنى اقبله . وجال بفكرى اننى اقبل الألم وان الالم يمت اليك يا رب كما لا يمت السرور . انى احبك يا رب فى آلامك . وأوشكت أن أحس طعم المعدن والملح فى جلده ، وقلت كم أنت طيب وصالح يا رب ! كان من الممكن ان تقتلنا بالسرور . ولكنك تحيينا معك بالألم !

ـ وشعرت به يبتعد عنى فجأة ففتحت عينى وسمعته يقول :

ـ وداعا . . . وداعا . . .

ـ وداعا يا ريتشارد

ـ لا تعودى . لا استطيع ان أتحمل شفقتك

ـ انها ليست شفقة . لقد تغفلت نفسى

وانصرفت ، اذ لم يكن للبقاء جدوى . لم أستطع ان أقول له انى احسده لأنه يحمل علامة الألم على وجهه هكذا . فيراك فى المرآة يارب كل يوم عوضا عن ذلك الشيء البشرى السخيف الذى يسمونه الجمال

١٠ فبراير سنة ١٩٤٦

« لا حاجة بى ان اكتب اليك أو أتحدث اليك »

هكذا بدأت خطابى اليك يا رب ثم خجلت من نفسى وألقيته فى السلة لأننى رأيته من السخافة أن أكتب اليك يا رب خطابا . وأنت الذى تعلم كل شيء قبل أن يخطر برأسى

« هل احببت موريس بكل هذه الشدة قبل أن أحبك ؟ أم حقا كنت أنت الذى أحببته طول الوقت ؟ هل كنت أتلمسك حين ألمسه ؟ وهل كان يمكن ان ألمسك لو لم ألمسه ؟ ولكن هل كنت أنت الذى احبه فى احبنى أنا ؟ فانه كان يكره فى ما تكرهه أنت . كان دائما فى صفك من غير أن يعلم ، انت الذى أردت لنا الافتراق . وهو أيضا أراد ذلك . عمل له بغضبه وغيرته وحبه ، فأعطانى الكثير جدا من الحب . وأعطيته الكثير جدا من الحب حتى وجدنا اننا استنفدنا كل شيء ولم يعد هناك ما نعطيه . لم يعد موجودا سواك لكلينا

www.ibtesamh.com/vb

« كان من الممكن أن أظل طول حياتى أنفق من رصيد الحب قليلا قليلا فى الحين بعد الحين . على أكثر من واحد من الرجال ، ولكننا انفقنا على الفور كل ما لدينا دفعة واحدة حتى استنفدناه . كى لا يبقى لنا فى الوجود بعد ذلك سواك . ولكن ما أكرمك يا رب ، حين أسألك ألما تعطينى سلاما وأمنا . أعطه ذلك أيضا ، اعطه السلام الذى اعطيتنى والأمن . فهو أحوج اليهما منى

١٢ فبراير سنة ١٩٤٦

« منذ يومين غمرنى شعور عجيب بالسلام والامن والطمأنينة والحب . كانت الحياة ستغدو سعيدة كما كانت . ولكن فى الليلة الماضية حلمت أننى أصعد سلما لألتقى بموريس فى قمته . وكنت لم ازل سعيدة لاننى عندما سأقابله فى القمة سنتطارح الحب . وهتفت به انى قادمة . ولكن الذى أجابنى لم يكن صوت موريس بل صوت كأصوات النفير فى الضباب فزعت منه ، وظننته ترك مسكنه ورحل ولم اعد أدرى أين هو . ولما أردت ان اهبط السلم وجدت الماء يرتفع الى خاصرتى واليهو غارقا فى الضباب ، فصحوت

« لم اعد أتمتع بالسلام والأمن كما كنت منذ يومين، بل انى أريده الآن على نحو ماكنت أريده من قبل . أريد أن آكل معه الساندويتشات على عجل بين قبلتين . أريد أن اشرب معه فى بار

« انى مجهدة ولا أريد مزيدا من الالم . أريد موريس فقط . أريد حبا بشريا عاديا منحلا هابطا . يا رب أنت تعلم أنى أريد أن تطلب نفسى آلامك ولكنى لا اريد ذلك الآن . فخذها عنى من فضلك برهة وأعدها الى فى وقت آخر ... »

www.ibtesamh.com/vb

الفصل الثالث عشر

إرادة الله

لم أستطع أن امضى فى قراءة مذكراتها أكثر من هذا ، وكم من فقرة تخطيتها ، اذا وجدتها تؤلمنى أكثر مما أطيق

كنت أريد أن أعرف حقيقة ماحدث مع دانستان . ولكنى لم أرد أن أعرف كل هذا . وتلاشت أهمية دانستان فى الطوفان الذى غمرنى كما يتلاشى تاريخ خامل فى تيار الحوادث . وكان آخر ما قرأته هو الذى كتبته منذ أسبوع :

ــ أريد موريس . أريد حبا بشريا عاديا منحلا هابطا

وهذا فعلا كل ما أستطيع أن أعطيك اياه . انى لا أعرف اى نوع سواه من الحب . ولكن ان كنت تظنين اننى استنفدت كل ما عندى منه فأنت مخطئة ، فلم تزل عندى بقية منه تكفى عمرينا

وفكرت فى ذلك اليوم الذى جلست فيه تعد حقيبتها وانا جالس أعمل هنا لا أدرى شيئا عن السعادة التى كانت قريبة منى . ولكنى سعيد أننى عرفت الآن . دانستان لا أهمية له ، ولا أهمية أيضا لمراقب الغارات الجوية ، واتجهت الى التليفون وطلبت رقمها

وأجابت الخادمة فقلت لها :

ــ أنا مستر بندركس وأريد أن اكلم مسز مايلز

فطلبت منى أن أنتظر ، وكتمت أنفاسى لاهثا كأنى انتهيت من سباق طويل . فى انتظار صوت سارة . ولكن الصوت الذى جاءنى كان صوت الخادمة تخبرنى أن مسز مايلز خرجت . ولا أدرى لماذا لم أصدقها . وانتظرت خمس دقائق ثم بسطت منديلى على السماعة وطلبت الرقم !

www.ibtesamh.com/vb

ـ هل مستر مايلز موجود ؟
ـ كلا يا سيدى ..
ـ أستطيع أن أتحدث اذن الى مسز مايلز ؟ انا السير وليم مالوك
وبعد برهة قصيرة جدا أجابتنى سارة :
ـ مساء الخير ، أنا مسز مايلز
ـ أعرف هذا ، فأنا اعرف صوتك ياسارة
ـ أنت ؟.. ظننت
ـ سارة ، أنى حاضر اليك
ـ كلا من فضلك . اسمع يا موريس ، انا فى الفراش ، أحدثك منه الآن ، لانى مريضة
ـ اذن يجب أن تقابلينى ، ما المسألة يا سارة ؟
ـ لاشىء .. برد شديد .. اسمع ياموريس ..
وبدأت تباعد بين الكلمات ببطء كأنها مربية ، فغاظنى منها هذا
ـ من .. فضلك .. لا .. تأتى .. لا أستطيع .. أن .. اقابلك
ـ انا احبك ياسارة ، وسأحضر
ـ لن اكون هنا ، سأقوم ..
ففكرت اننى لا استغرق فى عبور الحديقة العامة اكثر من أربع دقائق ، ولا يمكن أن ترتدى ثيابها فى هذا الوقت
وادركت ذلك فقالت :
ـ وسأقول للخادمة ألا تسمح لاحد بالدخول
ـ لا يبدو انها مصارعة ، ولابد من مصارع لاخراجى ياسارة
ـ من فضلك ياموريس .. أتوسل اليك .. انى لا أستطيع أن أراك اليوم ، ربما فى الاسبوع القادم
ـ لقد ضاعت علينا أسابيع كثيرة ، أريد ان أراك الآن .. هذا المساء !
ـ لماذا ؟..
ـ لانك تحبيننى ..
ـ من ادراك ؟..
ـ لا عليك ، أريد أن أطلب منك الخروج معى
ـ ولا داعى لمقابلتى لهذا الطلب . التليفون يكفى للطلب والرد . والرد لا ..

www.ibtesamh.com/vb

ـ لا استطيع ان المسك بالتليفون ياسارة

ـ موريس يا عزيزى أرجوك ، عدنى الا تحضر

ـ انى حاضر

ـ اسمع يا موريس ، انى مريضة جدا ، والالم شديد الليلة ، ولا أريد أن أغادر الفراش

ـ ولا داعى لمغادرته

ـ أقسم لك اننى سأغادره وارتدى ثيابى واترك المنزل الا اذا وعدتنى ..

ـ ان هذا أهم لكلينا ياسارة من البرد

ـ من فضلك ياموريس ، ان هنرى سيعود قريبا

ـ دعيه يعود

وألقيت المسماع ، وكانت الليلة أسوأ من تلك التى التقيت فيها بهنرى قبل شهر ، كان الصقيع يخترق معطف المطر ويعتم مصابيح الحديقة . بحيث كان من المستحيل على المرء أن يجرى ، ثم انى لا أستطيع الجرى بسرعة على كل حال بسبب ساقى . وتمنيت لو كنت أحضرت مصباح الجيب معى . وعلى كل حال مضت ثمانى دقائق قبل أن أصل الى هناك

وكنت على وشك عبور الشارع الى بابها حين انفتح الباب وخرجت سارة ، ففرحت وظننت أننى ظفرت بها . كنت واثقا اننا سنستأنف عهدنا الغابر . فأنا لم أعرفها قبل اليوم كما أعرفها الان ، ولم أحبها كما أحبها الان . فكلما ازدادت المعرفة زاد الحب . وها أنا عدت الى مملكة الثقة والطمأنينة

وكانت مندفعة فلم ترنى وبيننا الشارع العريض وعرجت الى اليسار ومشت بكل سرعة . فقلت انها ستحتاج الى الجلوس فى موضع ما وعندئذ تسقط فى الشرك

ومشيت وراءها بعشرين خطوة ، ولكنها لم تلتفت الى الخلف أبدا واجتازت الحديقة مارة بالبحيرة ، ثم بالمكتبة المهدمة بالقنابل كأنها قاصدة الى محطة المترو . ولم يفت هذا فى عضدى ، لاننى كنت مصمما ان اكلمها واو فى زحام المترو

ونزلت من فتحة المحطة الى المترو تحت الارض ، ثم وقفت امام

www.ibtesamh.com/vb

شباك التذاكر . ولكن لم تكن معها حقيبتها ، وفتشت فى جيوبها فلم تجد نقودا حتى ولا البنس ونصف الذى يسمح لها بالذهاب والاياب الى نصف الليل

وصعدت السلم من جديد ، ثم اخترقت الطريق الذى به الترام . وقد بدا عليها الفزع والاضطراب . فشعرت بالانتصار لانها خائفة لا منى بل من نفسها . ومما لابد أن يحدث عندما تلتقى . شعرت انى كسبت الشوط فعلا . واحسست بشىء من الشفقة على فريستى وأردت أن أقول لها لا تراعى فلا داعى للخوف . وسوف نكون سعيدين معا ، وان الكابوس قد انتهى تقريبا

وعندئذ فقدتها من نظرى ، عبرت الشارع وبينى وبينها عشرون خطوة . ثم حال بين لحاقى بها الى الضفة الاخرى مرور الترام . فلما استطعت العبور لم اعثر لها على اثر . وكان من الجائز انها دارت يسارا أو مشت الى الامام . ولكنى لم استطع أن اراها على كل حال

ولم انزعج كثيرا فانى ان لم اجدها اليوم سأجدها غدا . والآن وقد عرفت قصة النذر السخيفة بحذافيرها أصبحت واثقا من حبها ، وواثقا فيها

وفى الشارع الكبير وجدت كنيسة انجيلية . دخلتها فلم اجدها فيها ، ثم تذكرت الكنيسة الكاثوليكية عند ركن شارع بارك وأدركت على الفور انها ذهبت الى هناك كعادتها التى ذكرتها فى يومياتها

وبالفعل وجدتها هناك جالسة فى مقعد جانبى بالقرب من عامود يعلوه تمثال رديء الصنع للعذراء . ولم تكن تصلى ، كانت جالسة هناك مغمضة العينين ، وابصرتها على ضوء الشموع المشتعلة امام التمثال أما بقية الكنيسة فكانت مظلمة ، وجلست وراءها مثلما فعل باركيس سابقا وانتظرت

▭

كان فى وسعى أن انتظر سنوات بعد أن عرفت نهاية القصة . كنت اشعر بالبرد وثيابى مبتلة ولكنى سعيد

وفجأة بدأت تسعل وضغطت بيدها على جنبها ، فأدركت انها تتعذب ، ولم أستطع ان اتركها وحدها فى عذابها ، فتقدمت وجلست

www.ibtesamh.com/vb

بجوارها ، ووضعت يدى على ركبتها وهى تسعل ، فلما انتهت نوبة السعال قالت :

ـ من فضلك دعنى وحدى

ـ لن أدعك وحدك

ـ ماالذى طرأ عليك ياموريس ؟ انك لم تكن هكذا ذاك اليوم على الغداء ؟

ـ كنت ممرورا ، ولم أكن أدرى انك تحبيننى

ـ ولماذا تظن انى أحبك ؟

وفى الوقت نفسه تركت يدى مستقرة على ركبتها فأخبرتها عندئذ كيف ان باركيس سرق يومياتها ، لانى لم أرد أن تكون بيننا الآن أكاذيب

ـ لم يكن هذا شيئا لائقا

وبدأت تسعل من جديد ، فلما أصابها الاعياء وضعت كتفها على صدرى فقلت :

ـ ياعزيزتى ، انتهى الآن كل شىء ، انتهى الانتظار . . سنرحل معا

ـ كلا

فوضعت ذراعى حولها ولمست صدرها وقلت :

ـ انى كنت جبيبا خسيسا ياسارة ، لم أكن واثقا ، لم أكن أعرف عنك ما فيه الكفاية ، ولكنى واثق الآن

فلم تقل شيئا ، واستمرت متكئة على صدرى فقلت لها :

ـ اذهبى الى البيت ، وارقدى فى الفراش يومين ، فلايمكن ان تسافرى ببرد كهذا ، وسأسأل بالتليفون كل يوم عنك . ومتى تحسنت سأحضر واساعدك فى حزم الحقائب . ان لى ابن عم فى دورست يملك كوخا خاليا ، يمكن ان نقيم فيه بضعة أسابيع كى تستردى عافيتك ، وهناك أتم كتابى ، وبعدها نواجه المحامين . كلانا يحتاج الى راحة . فانى مجهد ومريض حتى الموت لطول حرمانى منك ياسارة

ـ وأنا كذلك

ـ ان المال سيكون قليلا فى يدنا . ولكن ليس الى حد الحاجة . فقد كلفونى بكتابة ترجمة حياة الجنرال غوردون ، ومقدم الاتعاب

www.ibtesamh.com/vb

يكفينا ثلاثة اشهر بكل راحة . وفى هذه المدة اكون قد انتهيت من الرواية ، واقبض مقدما من حسابها . والكتابان سيصدران فى هذا العام ويكفيان الى ان اتم كتابا جديدا . ففى استطاعتى أن أعمل بجد وانت معى

. وفجأة تبينت انها نامت على كتفى من اجهاد الفرار . فجمدت فى مكانى لكى لا يضطرب نومها . ولم يكن فى الكنيسة المظلمة مايمكن ان يزعجها ، لانها كانت خالية . وكان الالم الذى يتزايد ببطء فى كتفى حيث استقرت بثقلها هو مصدر أعظم سرور عرفته

يقال ان الاطفال يتأثرون بما نهمسه اليهم وهم نيام . وبدأت اهمس لسارة بصوت أخفت من ان يوقظها ، وفى أملى أن ترسب الكلمات بالايحاء فى عقلها الباطن ، قلت :

ـ انا احبك يا سارة . لم يحبك احد ابدا كما أحببتك . سنكون سعيدين وهنرى سوف لا يكترث الا لكرامته المجروحة ، وجرح الكبرياء يندمل سريعا ، سيتخذ عادات جديدة يستعيض بها عن تعوده عليك . ربما هوى جمع النقود الاغريقية. سنسافر معا ياسارة ، سنرحل . لا احد يستطيع ان يوقف ذلك الآن .. انت تحبيننى ياسارة

وسكت وانا افكر هل يجب ان اشترى حقيبة جديدة . وصحت تسعل :

ـ كنت نائمة

ـ يجب ان تعودى الى البيت الآن ياسارة . لديك برد

ـ لا أريد العودة للبيت ياموريس ، لا أريد الانصراف من هنا

ـ الجو بارد

ـ ـ البرد لا يهمنى . ولكن الظلام . انى استطيع ان أصدق اى شىء فى الظلام

ـ انك مجهدة .. لم يكن ينبغى ان تفرى منى هكذا

ـ لم اكن أجرى منك انت

وابعدت كتفها عنى وقالت :

ـ أرجوك ياموريس ان تذهب الآن وتدعنى

ـ كان يجب أن تبقى فى الفراش

www.ibtesamh.com/vb

ـ سأفعل ، ولكن لا أريد ان أعود معك . أريد أن أودعك هنا
ـ عدينى الا تمكثى طويلا .. وان تكلميننى بالتليفون
وأومأت برأسها ثم فركت عينيها بيديها كالاطفال وبدأت تبكى ، وقالت :
ـ آسفة ، اذهب الآن من فضلك ياموريس ، ارحمنى واذهب

□

وفى الايام القليلة التالية بذلت مجهودا جبارا لاحتفظ بتوازنى ، كنت اعمل لكلينا الآن ، فحددت لنفسى كل صباح حدا أدنى سبعمائة وخمسين كلمة فى الرواية ، ولكنى عادة كنت أتمكن من كتابة الف كلمة قبل الحادية عشرة

حقا ، ان تأثير الامل مدهش ، والرواية التى ظلت تتلكأ طول العام الماضى اخذت تعدو نحو ختامها

وكنت أعلم أن هنرى يغادر البيت الى الوزارة فى منتصف العاشرة وانسب وقت كى تطلبنى فيه بين العاشرة ومنتصف الواحدة . وكان هنرى درج بعد الحرب على العودة يوميا للغداء كما أخبرنى باركيس . فلم تكن هناك فرصة كى تطلبنى بعد ذلك قبل الثالثة

وكان الوقت يتسع أمامى لمراجعة عمل اليوم وكتابة خطاباتى الى منتصف الواحدة وبعدها استريح من الانتظار . واتمكن من المطالعة فى المتحف البريطانى لعمل مذكرات عن حياة غوردون الى منتصف الثالثة . ولكنى لم أكن أستطيع أن أستغرق فى كتابة الرواية . فطيف سارة كان يعترض دائما بينى وبين حياة هذا المرسل

□

ومرت ثمانية أيام قبل أن يرن التليفون ، وكان وقتا لم أتوقعه فيه ، لان الساعة كانت قبل التاسعة صباحا . وكان المتكلم هو هنرى :
ـ انت بندركس ؟
وكان فى صوته شىء غريب جدا ، فعجبت وتوجست ، واهتزت مشاعرى :
ـ نعم . انا بندركس
ـ لقد حدث شىء فظيع يجب أن تعلمه .. سارة ماتت

www.ibtesamh.com/vb

وانى لاعجب لسلوكنا سلوكا تقليديا جدا فى هذه المواقف ، اذ قلت :

ـ انى جد آسف ياهنرى

ـ هلْ عندك مايشغلك هذه الليلة ؟

ـ لا .. لا ..

ـ اذن أود أن تحضر عندى لنشرب كاسا ، فانى لا اتصور قضائى هذه الليلة وحدى

▭

قضيت الليلَ مع هنرى ، وكانت هذه اول مرة انام فيها فى بيته ، وليس به الا حجرة واحدة للضيوف . ولكنه رجانى والح فى الرجاء ولابد اننا شربنا فيما بيننا زجاجة ونصفا من الويسكى . واتذكر قول هنرى :

ـ انه لعجيب يابندركس كيف أننا لا نستطيع أن نغار على الموتى ، انها لم تمت الا من بضع ساعات ، ومع هذا أردت أن تكون انت معى

ـ لم يكن هناك ما يستحق غيرتك كثيرا . فكل ما بيننا انتهى منذ زمن طويل

ـ لست بحاجة الى هذا النوع من العزاء يابندركس الآن ، كلا ، لم ينته الامر بينكما ابدا . ولكن أتكرهنى لانها كانت لى كل تلك السنوات ؟

ـ لا ادرى ياهنرى ، كنت اظننى كرهتك ، ولكنى لا ادرى الآن

وجلسنا فى مكتبه ، ولم يشعل النور ، وكذلك نار المدفأة الغازية لم يكن مرتفعا بحيث يتسنى أن يرى كل منا وجه الآخر ، فلم أستطع أن أعرف أن هنرى يبكى الا من صوته

وسألته :

ـ اخبرنى كيف وقع الامر ياهنرى ؟

ـ أتذكر ليلة قابلتك فى الحديقة العامة ؟ كان ذلك منذ ثلاثة اسابيع أو أربعة على ما أظن . لقد أصيبت ببرد فى تلك الليلة ، ولم تشأ أن تصنع شيئا لعلاجه ، ولم يصل الى علمى مطلقا ان البرد بلغ الى صدرها . اذ لم تكن تخبر أحدا أبدا بهذه الامور . واخيرا لزمت فراشها ولم تشأ أن يعودها طبيب لانها لا تؤمن بالاطباء . ومنذ أسبوع تجاهلت مرضها وخرجت من البيت فجأة . والله وحده

www.ibtesamh.com/vb

يعلم أين ذهبت ولماذا .. وزعمت انها كانت بحاجة الى الرياضة . وحضرت من الخارج فلم اجدها . ولم تعد قبل التاسعة وقد ابتلت بالمطر والصقيع اشد من المرة الاولى . ولابد انها ظلت تسير فى المطر بضع ساعات وانتابتها الحمى طول الليل وجعلت تهذى مخاطبة شخصا لا ادرى من هو ولكنه ليس أنا ولا أنت يابندركس ، وأحضرت طبيبا برغم ارادتها فقال لو انها تناولت البنسلين قبل أسبوع لامكن انقاذها

ولم يكن أمام احد منا ما يصنعه سوى أن نصب فى الكئوس مزيدا من الويسكى . وتذكرت ذلك الغريب الذى استأجرت باركيس ليتعقبه، ان هذا الغريب هو الذى ربح فى النهاية

كلا لست أكره هنرى ، بل أكرهك انت ايها الغريب لو انك موجود

وتذكرت ماقالته لريتشارد سيمايذ من اننى جعلتها تؤمن . فكان هذا كافيا كى أكره نفسى ايضا

واستطرد هنرى يقول :

ومّاتت فى الرابعة صباحا ، ولم اكن حاضراً ، لان الممرضة لم تدعنى فى الوقت المناسب

ـ واين هذه الممرضة ؟

ـ اعدت كل شىء بدقة واناقة ، ثم انصرفت قبل الغداء لانها مرتبطة بحالة اخرى عاجلة

ـ اتمنى لو استطعت ان أعينك فى شىء

ـ انك تعيننى بمجرد وجودك هنا . لقد كان يوما فظيعا يابندركس فأنا كما تعلم لم أجرب حالات الوفاة قبل الآن . وكنت أعتقد على الدوام اننى سأموت قبلها ، وكان على سارة أن تتصرف لو انها بقيت معى الى ذلك الحين . فالوفاة مهمة نسوية مثل انجاب الاطفال

ـ اعتقد أن الطبيب ساعدك فى الموقف

ـ انه مزدحم جدا هذا الشتاء بالمرضى ، ومع هذا اتصل تليفونيا بالدفان « الحنوطى » والا لما عرفت كيف اتصرف . فليس عندنا دليل للمهن التجارية ولكن الطبيب لا يستطيع على كل حال ان يقول لى ماذا أصنع بثيابها التى تملأ الدواليب ، وانا طبعا لا استطيع ان أقذف الاشياء هكذا بلا مبالاة . لو انه فقط كانت لها أخت ..

www.ibtesamh.com/vb

ورن جرس الباب ، فبدا رنينه موحشا فى البيت الخالى . ثم انصرفنا الى احتساء الويسكى ، وحاول هنرى أن يغير موضوع الحديث قليلا :

ـ ان عندى كمية كبيرة منه فى البيت . سارة عثرت على مصدر جديد

ثم توقف فجأة ، لانه اكتشف ان اى موضوع يطرقه لابد ان يفضى به سريعا الى سارة . وانصرفت انا الى افكارى . الى الثالث وقلت له :

ـ لولا أن سارة آمنت بك لكانت الآن على قيد الحياة . ولكنا الآن عشيقين سعيدين . بل اشعر الآن انى كنت اسعد حتى بأن اشترك فيها مع هنرى .. أما الان فكل هذا مستحيل لانها آمنت بك !

ـ لست ادرى يا بندركس ماذا اصنع بخصوص الجنازة ، لقد حدث شىء محير وهى فى مرحلة الاحتضار . ولم تكن طبعا تدرى ما تقول ، اخبرتنى الممرضة انها لبثت طول الوقت تطلب قسيسا وتناديه باسم يا ابى .. كانها كاثوليكية ، ونحن لسنا من الكاثوليك كما تعلم ، ولكنى منزعج لهذا الذى حدث يابندركس

ـ انها لم تكن تؤمن بأى شىء ياهنرى مثلى ومثلك ، فلا تفكر فى عملية دفن دينية أو كاثوليكية . ان الطريق الطبيعى هو المحرقة

ـ ذلك انى كنت أريدها ان تحرق . كنت أريد أن اصيح بالثالث متحديا :

ـ ابعث هذا الرماد ان كنت قادرا ، فغيرتى لم تنته بوفاتها مثل غيرة هنرى !

كنت اشعر كما لو كانت لاتزال حية ، وتركتنى من اجل حبيب فضلته على . وليتنى استطيع ان ابعث وراءها باركس ليقطع عليهما الابدية !

ـ هل انت واثق من هذا يابندركس ؟

ـ كل الثقة ياهنرى

ـ انى كما تعلم اكره تماما كل ضجة الصلوات وحفارى القبور ، ولكن ان كانت هذه رغبة سارة ففى استطاعتى ان ارتب الامر

www.ibtesamh.com/vb

ـ انها اختارت لزواجها منك مكتب تسجيل العقود . فلا اظنها تريد لجنازتها هيكل الكنيسة

ـ اظن ان هذا هو المعقول ، فالاحراق ينسجم اكثر مع مكتب التسجيل ، والدفن هو الذى يتمشى مع الكنيسة

ـ دع لى جميع الترتيبات وساتخذها بدلا منك

وذكرنى هذا بموقف مماثل يوم قلت له منذ شهر انى سأذهب لمقابلة مستر سافيدج نيابة عنه

ـ هذا كرم كبير منك يابندركس

فصببت آخر قطرة من الويسكى فى كأسينا بكل عناية ، وقلت :

ـ الساعة الآن منتصف الليل ، يجب ان تحظى بقسط من النوم ان استطعت ياهنرى

ـ لقد اعطانى الطبيب حبوبا منومة . ولكنى لا أريد ان انفرد بنفسى

وكنت افهم شعوره تماما ، لانى أيضا كنت أماطل بعد قضاء يوم مع سارة فى الوجود بمفردى داخل الحجرة

ـ مازلت انسى يابندركس انها ماتت

ـ اذهب الى فراشك ياهنرى

ـ اخشى ان احلم بها

ـ سوف لا تحلم بها اذا تناولت الحبوب المنومة

ـ اتريد واحدة منها يابندركس ؟

ـ كلا .. كلا ..

ـ ان الجو فظيع فى الخارج فامكث هنا

ـ لا ابالى الجو

ـ انك تسدى الى جميلا ان بقيت

ـ اذن ابقى

ـ سأذهب لاحضر لك ملاءة واغطية

ـ لا تتعب نفسك

ولكنه كان قد ذهب . ووقفت ارقب ارض الحجرة ، وكأنها تكلمنى بما شهدته من غرامنا . وتذكرت رنة صوتها . وعلى المكتب الذى كانت تكتب فوقه خطاباتها رايت خليطا من الاشياء . كنت

www.ibtesamh.com/vb

أتطلع اليه حين عاد هنرى محملا بالبطاطين فقال لى لما رآنى افحص الاشياء بنظرى :

ـ نسيت أن أقول لك يابندركس ان كنت بحاجة الى شيء بصفة تذكار ، فلك أن تختار ماتشاء ، فلا أظنها تركت وصية

ـ هذا كرم منك

ـ بل انى شديد الامتنان الآن لكل انسان احبها

ـ سآخذ اذن هذا الحجر الذى كانت تثقل به الاوراق

وكان هنرى نسى أن يحضر وسادة ، فوضعت راسى على حشية من حشايا المقاعد . وخيل الى اننى أتنسم فيها عطرها . ولم أستطع أن أنام . وغرست اظافرى فى كفى كما فعلت هى حتى يمنع الالم دماغى من العمل . وظل بندول رغائبى يتحرك هنـــا وهناك بين الطرفين المتناقضين .. الرغبة فى النسيان والرغبة فى التذكر ، بين الرغبة فى الموت والرغبة فى الحياة .. وأخيرا نمت

▭

عندما حان وقت الافطار كان هنرى ما زال نائما ، ودخلت على الخادمة التى كان باركيس قد تعرف بها وفى يدها صينية عليها القهوة وخبز محمر ، فأزاحت الستائر ، واذا بالثلج كسا كل شيء ، وكنت تحت تأثير النوم ، فاستغربت احمرار عينيها بدموع قديمة،وسألتها :

ـ ماذا حدث يا مود ؟

فلما خرجت مغضبة تنبهت تماما الى البيت الذى ران عليه سكون الفراغ . بل ران على العالم كله . فصعدت واطللت على هنرى ، فوجدته مازال غارقا فى النوم بتأثير الدواء . يبتسم وهو نائم فحسدته ثم هبطت الى أسفل ، وحاولت أن أبتلع لقيمات من الخبز المحمر ..

ورن الجرس ، ثم سمعت الخادم تقود أحدا الى الطابق العلوى . ثم سمعت باب حجرة الضيوف يفتح ، فأدركت ان الامر يتعلق بعمليـــة الحنوطى . ولم تساورنى أى رغبة فى ان أصعد لاراها وهى ميته . فانى لأكره ذلك كما أكره أن أراها بين أحضان رجل آخر

ورن بعد قليل جرس آخر ، وفى هذه المرة جاءتنى مود وقالت لى:

ـ هناك سيد يسأل عن مستر مايلز . ولكن لا أريد ان أوقظه

ـ ومن هو ؟

www.ibtesamh.com/vb

ـ انه صديق مسز مايلز المعهود .

فكان هذا أول اشارة منها الى معاونتها لباركيس فى التجسس

ـ هاته هنا

وشعرت الآن بتفوق كبير على سمايذ وانا جالس فى حجرة جلوس سارة ، مرتديا بيجامة هنرى ، واعرف عنه الكثير فى حين لايعرف هو شيئا عنى

ونظر الى بارتباك والثلج يتساقط منه على الارض . فقلت له :

ـ لقد التقينا من قبل . فانا صديق لمسز مايلز

ـ وكان معك غلام

ـ هذا صحيح

ـ جئت لاقابل مستر مايلز

ـ هل سمعت النبأ ؟

ـ لهذا حضرت

ـ انه نائم .اعطاه الطبيب حبوبا منومة ، كان الأمر صدمة لنا جميعا

ـ جئت لاقابل مستر مايلز واقول كم اسفت

ـ المعتاد فى هذه المناسبات ان تكتب

فقال بتخاذل :

ـ ظننت اننى قد اكون ذا فائدة له

ـ لا اظنك تريد ان تبشر مستر مايلز .. اعنى تقنعه بمايراه فعلا وهو ان وجودها قد انتهى . لم يبق منها شيء للحياة ...

فانفجر فجأة بما فى دخيلته وصاح :

ـ كنت أريد أن أراها ، وهذا كل شيء

ـ ان مستر مايلز لا يعلم حتى بمجرد وجودك . فليس لائقا منك يا مستر سمايذ ان تأتى الى هنا

ـ ومتى الجنازة ؟

ـ غدا فى محرقة جولدر

فأدهشنى بقوله :

ـ انها ما كانت لتريد ذلك

ـ انها لم تكن تؤمن بأى شيء ، مثلك

ـ اما كان أحد منكم يعرف ؟ انها كانت ستعتنق الكاثوليكية ..

www.ibtesamh.com/vb

لقد كتبت الى . انها صممت على هذا . ولم افلح فى تغيير رايهـــا . وبدأت فعلا فى تلقى التعاليم الأولى

اذن كانت لها اسرار أخرى لم تسجلها فى يومياتها كما لم تسجل فيها مسألة المرض وأردت أن انقل اليه ألمى فقلت له :

ــ وكانت تلك صدمة لك . أليس كذلك ؟

ــ لقد اغتظت بالطبع . ولكن ليس من الممكن ان تكون اعتقاداتنـــا جميعا متشابهة

ــ لم يكن هذا ما كنت تنادى به

فنظر الى نظرة من يستغرب عدائى له وقال :

ــ هل اسمك موريس ؟

ــ هذا اسمى

ــ لقد اخبرتنى عنك

ــ وانا قرأت عنك . لقد استغفلتنا كلينا

ــ كنت انا أحمق

ولمس الوحمة التى على خده باصبعه وقال :

ــ الا تظن اننى يمكن أن أراها ؟

وسمعت فى تلك اللحظة خطوات الحنوطى الثقيلة وهو يهبط السلالم فقلت

ــ انها راقدة فوقنا . أول باب على اليسار

ــ واذا تنبه مستر مايلز ؟

ــ سوف لا توقظه

▭

وارتديت ثيابى كلها الى أن عاد وقال لى :

ــ شكرا لك . . .

ــ لا تشكرنى . فانى لا أملكها الآن اكثر مما تمتلكها انت

ــ ليس لى الحق فى ان اسأل . ولـكنى أرجو ان تكون . . . انك احببتها . اعلم هذا . . . . اعلمه منها . . وهى ايضا

واستطرد بصعوبه كأنه يبتلع دواء مرا

ــ هى ايضا كانت تحبك

ــ ماذا تريد ان تقول ؟

www.ibtesamh.com/vb

ـ أود لو انك صنعت شيئا من أجلها

ـ من أجلها ؟

ـ دعها تظفر بجنازتها الكاثوليكية . كانت حرية ان تؤثر هذا

ـ واى فرق لديها بين الحرق والدفن ؟

ـ لا اظن ان الامر يعنيها الآن . هذا اعتقادى ولكن الافضل لنا دائما ان نكون كراما مع الموتى

ـ وماذا استطيع انا لها فى هذا الصدد ؟

ـ كانت تقول لى دائما ان زوجها يحترمك كثيرا

وكان هذا اقوى مما احتمل فى باب المفارقات والتناقض. فاشتقت ان اقضى على سكون الموت بضحكة مجلجلة . فارتميت على الاريكة وبدات اهتز بالضحك . لانى تصورت سارة مسجاة فى الطابق العلوى . وزوجها هنرى نائم وعلى وجهه ابتسامة بلهاء والعاشق ذو الوحمة الحمراء على خده يناقش تفاصيل جنازتها مع العاشق الاعرج الذى استخدم باركيس للتجسس عليه

وجرت دموعى على خدى وانا اضحك . وتذكرت رجلا رايته مرة فى الغارات الكبرى على لندن يضحك هكذا امام انقاض بيته التى دفنت تحتها زوجته وطفلاه الوحيدان

وشحب وجه سمايذ ، وقال وهو يرفع قبضته اليمنى دفاعا عن نفسه :

ـ لست افهمك ... انى ارى الالم يتقاذفنا معا . والآن سانصرف ورايته يمد يده الى مقبض الباب بيده اليسرى . فعجبت لانه لم يخطر لى ان الرجل اعسر وقلت له :

ـ عفوك . فانى محطم الاعصاب كما تعلم

ومددت اليه يدى فتردد قليلا ثم لمسها بيسراه

ـ يا سمايذ . ما هذا الذى تقبض عليه يدك اليمنى ؟ هل اخذت من حجرتها شيئا ؟

فبسط قبضته وارانى خصلة من الشعر وقال :

ـ هذا كل ما اخذت منها

ـ لم يكن لك الحق

ـ انها الآن ليست ملك احد

www.ibtesamh.com/vb

« وعندما علمت أنها ماتت جثوت وصليت »

www.ibtesamh.com/vb

وصورت لي هذه الكلمة على الفور ما صارت اليه سارة الفاتنة المرغوبة : نفاية تنتظر المواراة . فان كنت تريد شيئا من الشعر فلك ان تأخذ ما تشاء . او تقص اظافرها ان كانت قلامات الاظافر ذات قيمة لديك . فبعد قليلٍ سيحترق الكل . فلماذا لايأخذ من يشاء ما يشاء قبل ان تلتهمها النيران ؟

اى احمق كنته مدى ثلاث سنوات عندما تخيلت اننى امتلكتها بأى وجه من الوجوه فلا احد يستطيع ان يملكنا . حتى ولا ذواتنا

وقلت له بصوت خافت :

ـ انى آسف

ـ اتدرى ما الذى كتبته الى منذ اربعة ايام فقط ؟

وحز فى نفسى انها وجدت وقتا للكتابة اليه قبل ان تموت بثلاثة ايام ولكنها لم تجد وقتا لتكلمنى بالتليفون

ـ كتبت الى منذ اربعة ايام تقولٍ صلٍ من اجلى ! اليس غريبا ان تطلب منى انا ان اصلى من اجلها ؟

ـ وماذا صنعت ؟

ـ عندما سمعت انها ماتت جثوت وصليت

ـ وهل تحفظ اى صلاة ؟.. انه لا يبدو صوابا ان تصلى لرب لا تؤمن به

وتبعته الىٍ خارج البيت . لانه لم يكن هناك داعى ان ابقى الى ان يستيقظ هنرى . فان عاجلا او آجلا يجب ان يواجه الوحدة بمفرده كما واجهتها انا

▭

ودخلت حجرتى فوجدت على المكتب خطابا من سارة . وقد انقضى على موتها اكثر من اربع وعشرين ساعة . فكيف يستغرق الخطاب فى عبور الحديقة العامة كلٍ هذا الوقت ؟ ثم اتضح لى انها كتبت رقم البيت خطأ . انها ما كانت لتنسى رقم بيتى منذ عامين حين كانت تأتى اليه كلٍ يوم مرة على الاقل

وكان الخطاب مكتوبا بقلم الرصاص ، وذلك طبعا لانها كتبت وهى فى الفراش :

« عزيزى الاعز موريس

www.ibtesamh.com/vb

« كان فى نيتى ان اكتب اليك تلك الليلة بعد ان انصرفت . ولكن المرض اشتد على بعد عودتى الى البيت . وانزعج هنرى . وانى اكتب الآن بدلا من الكلام فى التليفون لانى لا استطيع ان اسمع صوتك يتغير عندما اقول لك انى لا استطيع الخروج معك . ذلك انى سوف لا اخرج معك ابدا يا موريس . يا عزيزى الاعز يا موريس. انى احبك ولايمكننى ان اقابلك بعد. ولا ادرى كيف يمكن ان استمر فى الحياة بهذا الالم وهذا الحنين . وانى اصلى الى الله دواما الا يقسو على . ولا يتركنى اعيش . يا عزيزى موريس انى حريصة على النقيضين معا . انى كسائر البشر اريد ان احتفظ بكعكتى وان آكلها فى الوقت نفسه . وقد توجهت منذ يومين قبل ان تطلبنى بالتليفون الى قسيس وقلت له انى اريد ان اعتنق الكثلكة . واخبرته عن نذرى وعنك . وقلت له انى لست متزوجة الآن حقيقة من هنرى . فنحن لا نتعاشر منذ اول سنة عرفتك فيها . ثم ان زواجنا لم يكن شرعيا وانه مجرد عقد فى مكتب التسجيل . وسألت القسيس الا يمكن ان انقلب كاثوليكية واتزوجك ؟ وكنت واثقة انك لا تبالى من اجلى ان تحضر صلاة الزواج والقداس . وكنت كلما سألته اشعر بالامل يراودنى فى لهفة ، كمن تفتح من الخارج منفذا فى مصراعى نافذة بيت مغلق جديد وتريد ان ترى المنظر فلا يواجهها الا حائط مصمت . كان جوابه دائما « لا » . بل ليس فقط لا يمكن ان اتزوجك بل ايضا يجب ان امتنع عن لقائك ان كنت سأصبح كاثوليكية

« وخرجت غاضبة وصفقت الباب اعلانا لغضبى . فليذهب جميع الكهنة الى الجحيم ما داموا يقفون بينى وبينك ، انهم يحولون بيننا وبين الله . فالله اكثر منهم رحمة . ثم دخلت الكنيسة ونظرت الى الصليب وقلت فى نفسى ان لديه ولا شك رحمة ولكنها من نوع غريب تبدو احيانا كالعقوبة

« موريس يا عزيزى الاعز ، انى اشعر بصداع عنيف وكأنى اوشك ان اموت . كم اتمنى لو لم اكن قوية مثل الحصان ! لا اريد ان اعيش بدونك . وفى الوقت نفسه اعلم تماما اننى ان عشت والتقيت بك يوما فى الحديقة العامة فلن ابالى بعدها قتيلا بهنرى ، ولا بالرب ، ولا بأى شىء !

« ومع هذا يا موريس فأنا اعتقد تماما ان هناك ربا . والى

www.ibtesamh.com/vb

الرب اضرع من اعماقى الا يبقينى فى الحياة على هـذه الشاكلة . آمين .. »

وكان هذا آخر ما كتبته . وشعرت انى ايضا اتمنى كما تمنت سارة لو لم اكن قويا فى قوة الحصان ، لان الحياة اصبحت اثقل من ان تحتمل

واكثر من هذا تأخرت عن حضور الجنازة . لانى ذهبت الى المدينة لاقابل رجلا اسمه ووتربيورى فى نيته ان يكتب مقالا عن عملى الادبى فى احدى المجلات الصغرى . وجعلت اتردد بين الذهاب الى هذا الموعد او عدم الذهاب . فلماذا جشمت نفسى هذا التردد ؟ انى لم اكن راغبا فى رؤية هذا الشخص الدعى . وبالتأكيد لم اكن راغبا فى ان يكتب عنى هو اوسواه لانى وصلت الى درجة عدم الاهتمام بالعمل الآن . ولا يستطيع أحد ان يسرنى كثيرا بالمدح او يؤلمنى كثيرا بالملام . لانه ان كان الموت نهاية كل شيء فما جدوى ان اترك ورائى كتبا ، اكثر من ان اترك ورائى ثيابا او زجاجات ؟

اظننى ترددت فقط بين الذهاب وعدم الذهاب دفعا للوحدة لاغير . ان لم يكن عندى ما اصنعه حتى موعد الجنازة . واردت ان اتقوى بكأس او كأسين . فمهما نفضنا يدنا من الاهتمام بالعمل والادب . لا نستطيع ان ننفض يدنا من حفظ المظاهر . ولا يليق ان ننهار أمام الناس

وكان ووتربيورى ينتظرنى فى بار بالقرب من شارع كورت وكان مرتديا بنطلونا وجوديا ويدخن سجائر رخيصة . ومعه فتاة اطول منه واجمل بكثير وترتدى بنطلونا مثل بنطلونه وتدخن نوع سجائره نفسه

كانت صغيرة السن جدا واسمها سلفيا . وكان من الواضح انها بدأت بووتربيورى مرحلة طويلة جدا من الدراسة الادبية والفنية . وانها الآن فى طور تقليد استاذها فى نزواته الغريبة . وعجبت فى نفسى الى اين يمكن ان ينتهى بها المطاف بهذا الشباب الغض وهاتين العينين المتوثبتين اللتين تفيضان بالطيبة وهذا الشعر الذى كأنه الذهب

واقتضبت حديثى مع ووتربيورى الثرثار . واضطررت ان اقول له عن سبب عجلتى . ولكنه تصنع عدم المبالاة بالجنازة لان المقال

www.ibtesamh.com/vb

فى نظره اهم . وعندما حييته لانصرف قالت سلفيا التى لم تفارق بعينيها وجهى طول الوقت :

ـ انى ذاهبة فى اتجاهك يا مستر بندركس

فقال ووتربيورى باسترابة :

ـ انك لم تخبرينى من قبل

ـ انت تعلم انى أرى أمى التى تقطن هامبستيد كل يوم اربعاء

ـ ولكننا اليوم الثلاثاء ؟

ـ اذن سيوفر هذا على الذهاب غدا

وقلت انا :

ـ انى شاكر لك جدا . فسوف تسرنى صحبتك

ـ لا تتأخرى عند أمك يا سلفيا . فهناك برنامج هام فى الراديو فى منتصف السابعة . عودى قبل ذلك

وفى الطريق سألتنى بلطف :

ـ أهو شخص عزيز ذلك الذى فقدته ؟

ـ عزيز جدا ...

ـ امراة ؟

ـ نعم ...

ـ انى آسفة .. !

وشعرت انها كانت تعنى ما تقول . انها طبعا امامها شوط طويل تتعلمه عن الكتب والموسيقى وكيف تلبس وتتكلم . ولكنها ليست بحاجة ان تتعلم شيئا فى باب الشعور الانسانى . ونزلنا معا الى المترو المزدحم ووقفنا جنبا الى جنب معلقين الى جلدة واحدة فى السقف . فلما احسست بها ملتصقة بى ذكرنى ذلك من بعيد بشىء كدت انساه تماما . هو الرغبة

فهل هذا هو كل ما بقى لى الآن والى الابد ؟ لم يعد لى ان اشعر بالرغبة بل بمجرد اثرها وذكراها ؟ ان لمسها فى الزحام وهى تتحرك لتسمح للركاب بالمرور كان اشبه بشىء حدث منذ زمن بعيد جدا

واردت ان اصطنع حديثا فقلت :

ـ هذه اول جنازة احضرها فى حياتى

ـ هل والدك ووالدتك على قيد الحياة ؟

www.ibtesamh.com/vb

ـ ابى نعم . اما امى فماتت وانا متغيب فى المدرسة الداخلية . وظننت انها ستكون فرصة لاجازة بضعة ايام . بيد ان ابى راى ان حضورى الجنازة قد يزعج اعصابى . ولهذا لم استفد شيئا من وفاتها . الا اعفائى من الواجبات ليلة وصول النبأ

ـ انى لا احب ان احرق بعدما اموت

ـ اتفضلين الديدان ؟

فاومأت براسها ايجابا . وكان راسانا متقاربين جدا بحيث نتهامس فلا يسمعنا احد . وعجبت لنفسى لماذا اصر على الاحراق . وفى الواقع كنت انا الذى استمات فى اقناع هنرى بعدم دفنها كاثوليكيا . رغم الحاح صريح من الكاهن الذى كانت تتردد عليه سارة فى ايامها الاخيرة سرا

** معرفتي **
www.ibtesamh.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر يوليو ٢٠١٧

www.ibtesamh.com/vb

الفصل الرابع عشر

سارة فى موكب الموتى

وكان هنرى بعد الظهر مباشرة قد اتصلَ بى فىَ التليفون طالبا منى الحضور . ومن الغريب اننا بعد وفاة سارة اصبحنا متقاربين جدا . وصار يركن الى الآن كما كان يركن الى سارة . فانا شىء مألوف فى البيت . حتى خطر لى انه ربما عرض على بعد الجنازة ان اشاركه المسكن وجعلت افكر بماذا اجيبه . فمن وجهة تذكر سارة او نسيانها لم يكن هناك فرق بين بيتى وبيته . لانها كانت مرتبطة بالبيتين معا

وكان ما يزال تحت تأثير المخدر عندما وصلت ، وامامه فىَ المكتب جلس قسيس كاثوليكى بصورة متخشبة ، وبوجه بدين كالح ، وقال هنرى :

ــ هذا مستر بندركس المؤلف . وهذا الاب كرومتون . وكان مستر بندركس صديقا حميما لزوجتى

وبدا على الاب كرومتون انه يعرف هذا من قبل . وخطر لى انه ربما كان هو بعينه الرجل الذى اغلق باب الامل والرجاء فى وجه سارة ، وقال لى بصوت اجش ، فيه الكثير من سوء النية :

ــ طاب يومك

ــ ان مستر بندركس ساعدنى كثيرا فى اتخاذ الترتيبات كلها

ــ انى كنت مستعدا ان اقوم بها كلها لو انى علمت

وشعرت انى وهنرى معا فريسة لهذا الرجل ذو الياقة المنشاة الذى انتصر علينا جميعا وقلت :

ــ لا اظنك كنت ستقوم بذلك طائعا . لانك طبعا لا توافق على الاحراق

www.ibtesamh.com/vb

ـ كنت سأدبر لها دفنا كاثوليكيا
ـ انها لم تكن كاثوليكية
ـ بل عبرت عن رغبتها فى ذلك
ـ وهل هذا يكفى ؟
ـ فأخرج من جيبه ورقة مطبوعة وضعها امامنا وقال :
ـ اننا نعترف بما يسمى العماد بالنية او الرغبة . وما زال لدينا وقت لالغاء جميع الترتيبات التى اتخذتموها ، وسأتولى انا الباقى
فقال هنرى فجأة :
ـ هل المسألة تهم كثيرا ؟
ـ أن هذا احرى ان يسعدها
ـ ولكن لماذا ؟
ـ ان الكنيسة تقدم يا مستر مايلز امتيازات كثيرة لرعاياها . تتلو صلوات منتظمة على الموتى فنحن نتذكر موتانا . لان الفرد لدينا له أهميته . وكل شعرة فى رؤوسنا محصاة ليوم البعث حيث تكون قيامة الاموات . فنحن ندفنهم على رجاء تلك القيامة
فقلت له انا عندما رايت هنرى يتخاذل ، غير مبال ان اكذب :
ـ ليس لدينا اى سبب يدعونا للاعتقاد انهـــا كانت تنوى اعتناق الكثلكة
ـ انى ماكنت لافكر يامستر مايلز فى التطفل على بيتك لو لم تكن عندى اسباب قوية للحضور
ـ ان عندى خطابا من مسز مايلز كتبته قبل وفاتها بأقل من اسبوع فمنذ متى رايتها أنت ؟
ـ منذ نحو خمسة أيام
ـ اذن يبدو غريبا لى انها لم تشر من قريب او بعيد الى هذا الامر فى خطابها الاخير
ـ ربما يا مستر ... بندركس ، لم تكن تفضى اليك بأسرارها
ـ بل ربما قفزت انت يا ابى الى النتائج اسرع مما يجب . ان الناس يمكن ان يهتموا بمذهبك ويسألوك عنه من غير ان تكون لديهم رغبة حقيقية فى اعتناق الكاثوليكية . كما نقلب البضائع فى المتاجر ولا نرغب فى شرائها

www.ibtesamh.com/vb

والتفت الى هنرى وقلت له :

ـ سيكون مستغربا وسخيفا ان نغير كل شيء الآن بعد ان اعطينا التعليمات ودعونا الاصدقاء وسارة لم تكن متعصبة فى يوم من الايام وهى آخر من يقبل ان يتجشم الناس عناء بسببها أو بسبب نزوة . ومن الممكن طبعا ان تعطى الاب كرومتون نقودا ليقيم على روحهـا الصلاة التى يريدها

ـ ليس هذا ضروريا . فقد تلوت قداسا على روحها هذا الصباح قبل ان آتى . وساتذكرها كل يوم وانطق باسمها فى قداسى اليومى

فتنهد هنرى بارتياح ، وحرك نحوه صندوق السجائر وهو يقول :

ـ هذا كرم عظيم منك يا ابى

ـ قد يبدو لك من الفضول او التطفل ان اقول لك يا مستر مايلز انك فيما يبدو لى لا تدرى اى امراة صالحة كانت زوجتك

ـ لقد كانت كل شيء لى

فقلت انا :

ـ كثيرون جدا كانوا يحبونها

فوجه الاب كرومتون عينيه نحوى مثل ناظر المدرسة الذى سمع ضجة فى مؤخرة الفصل من فتى مشاغب

ـ ربما لم يحبوها بما فيه الـكفاية

ـ نعود الى الموضوع الذى كنا نتناقش فيه يا ابى فأقول اننـا لا نستطيع ان نغير شيئا الآن . لأن الناس ستلغط كثيرا ان حـدث تغيير . ولا اظنك يا هنرى تحب اللغط

ـ كلا .. اوه .. كلا ..

ـ لقد نشرت التايمس انباء الجنازة . وهذا سيضطرنا لنشر تصحيح . ومثل ذلك التعديل يلفت انظار الناس . وتكثر تعليقاتهم . وانت لست بالشخص المجهول يا هنرى . ثم ينبغى ارسال برقيات لتعديل الدعوة الى الاصدقاء . ولا شك ان كثيرين امروا بالفعل محلات الزهور بارسال الكورونات والباقات الى المحرقة . واظنك تقدر هذا كله يا ابى

ـ لا استطيع ان اوافقك

ـ ان ما تطلبه غير معقول

www.ibtesamh.com/vb

ـ يبدو لى ان لديك تقديرا عجيبا للقيم يا مستر بندركس
ـ ولكنى لا اظنك طبعا تعتقد ان الاحراق يؤثر قليلا او كثيرا فى مسألة بعث الاجساد يوم القيامة
ـ طبعا لايؤثر . وقد شرحت لك وجهة نظرى والاسباب التى عندى . فاذا لم تكن تبدو فى نظر مستر مايلز قوية بما فيه الكفاية . فليس عندى ما اقوله بعد ذلك

ونهض من مقعده . وياله من رجل قبيح الشكل وهو واقف ! انه يبدو وهو جالس مثالا للقوة الراسخة . بيد ان ساقيه قصيرتان جدا بالنسبة لجسمه . فبدا قصيرا بشكل مخيب للآمال . فكأنه ابتعد فجأة مسافة كبيرة ونحن نراه من بعد . وقال هنرى :
ـ لو انك اتيت مبكرا قليلا يا ابتاه . ارجوك لا تظن . .
ـ انى لا اظن بك اى سوء يا مستر مايلز
فقلت بتبجح متعمد :
ـ اذن تظن سوءا بى انا يا ابى ؟
ـ لا تقلق يا مستر بندركس . فما من شىء مما تستطيع ان تفعله يمكن ان يسىء اليها الآن

واعتقد ان سر الاعتراف يعلم الكاهن كيف يعرف الكراهية ويحسها فى الناس ولهذا مد يده الى هنرى ثم اولانى ظهره
وخطر لى ان اقول له انه مخطىء فى فكرته عنى . فليست سارة هى التى اكرهها . وانه مخطىء فى فكرته عن هنرى ايضا . فانا الذى كنت احب سارة لا هنرى . . ولكنى لم اقل شيئا وتركته يخرج

المحرقة

وقالت لى سلفيا :
ـ المحطة القادمة هى مامبستيد
ـ ايجب أن تنزلى لتزورى والدتك ؟
ـ بل استطيع أن امضى معك الى محرقة جـــولدوز واريك الطريق ، فانا لا ازور امى عادة اليوم
ـ ان هذا يكون عملا مبرورا
ـ اظن انك يجب أن تستقل سيارة اجرة ، ان كنت تريد ان تصل فى الموعد

www.ibtesamh.com/vb

ـ أظن انه ليس من المهم ان تفوتني السطور الأولى

ومشت معى الى فناء المحطة ، ثم أرادت أن تعود ، فبدا لى غريبا أن تجشم نفسها كل هذا العناء . وأنا لم أر فى نفسى أى مزايا تجعل اى امرأة تهوانى ، ولا سيما الآن ، فالحزن والخيبة مثل الكراهية ، يجعلان الرجال أشد قبحا بفعل المرارة والتحسر على انفسهم ، وتجعلانهم انانيين أيضا

لم يكن عندى شىء أمنحه سلفيا ، ولا يمكن ان أصبح أحد أساتذتها على الطريقة التى تندفع فيها . ولكن لأنى كنت خائفا من نصف الساعة القادم ، ومن الوجوه التى قد تتجسس على وحشتى محاولة أن تستنتج من سحنتى كنه العلاقات التى كانت بينى وبين ساره ، ومن منا هجر الآخر ، لهذا أردت أن أستعين بجمالها كى يسندنى امام الناس

ولما قلت لها ذلك ، وتوسلت اليها ، ظهر عليها السرور ، لأنى رغبت فى صحبتها . وادركت أن فى استطاعتى ان آخذها نهائيا من ووتر بيورى فى التو واللحظة ، وسيكون عليه الليلة أن يسمع الراديو ثم يتقلب فى فراشه وحده

ـ ولكن لا أستطيع ان ادخل المحرقة بهذه الثياب

ـ سنقف فى المؤخرة . وسيبدو كأنك غريبة كانت مارة فى الطريق

ـ ان بنطلونى على الاقل أسود اللون

وركبنا سيارة الاجرة .

وكان برج المحرقة يرسل الدخان ، والماء فى الجداول وفى الممرات المرصوفة بالحصباء نصف متجمد . وكان هناك غرباء كثيرون خارجين فيما اعتقدت من جنازة سابقة . وعلى وجوههم ذلك السرور الفجائى الذى يبدو على الناس وهم يغادرون حفلة مضجرة. وقالت سلفيا :

ـ الطريق من هنا ...

ـ يبدو انك تعرفين المكان جيدا

ـ هنا أحرق ابى منذ عامين

ولما وصلنا الى الكنيسة الصغيرة بداخل المحرقة كان الجميع

www.ibtesamh.com/vb

منصرفين . فان أسئلة ووتر بيورى البلهاء أخرتنى أكثر مما يجب. وشعرت بغضة لانى لم أحضر نهاية ساره . اذن كان ذلك الدخان الذى ينتشر فى السماء فوق حدائق الضاحية هو دخان رمادها

وخرج هنرى من باب الكنيسة وحده مندفعا كالاعمى . وكان يبكى فلم يرنى . ولم اعرف أحدا ممن هناك عدا السير وليم مالوك الذى كان يرتدى قبعة عالية فرمقنى بنظرة امتعاض ثم أسرع فى طريقه . وكان هناك حفنة من الموظفين المدنيين . فهل كان بينهم دانستان ؟ ليس هذا مهما جـــدا على كل حال . وكان مع بعض الحـاضرين زوجـاتهم واعتقـد انهن على الاقل كن مسرورات من الجنازة كما تدل على ذلك قبعاتهن . فاختفاء ساره من المسرح جعل كل زوجة منهن أكثر اطمئنانا . وقالت سلفيا :

ـ انى آسفة جدا

ـ لم تكن غلطتك

وخطر لى انهم لو حنطوا ساره لما شعرت الزوجات بهذه الطمأنينة فحتى جثتها الميتة كانت كفيلة ان تعين مستوى عاليا يفضح هبوط مستواهن

ـ أتحب الآن ان انصرف ؟

كلا ، كلا ، بل اريدك معى ، هذا افضل لى

وذهبت الى باب الكنيسة الصغيرة ، ونظـــرت الى داخلها ، ورأيت باقات الورد تحمل الى الخارج . وباقات أخرى للجنازة الجديدة تدخل . وكانت هناك سيدة نصف راكعة تصلى فى ارتباك. وسمعت صوتا مالوفا يقول من خلفى :

ـ انها فرصة مؤسفة يا سيدى التى نراك فيها هنا

ـ هل حضرت يا باركيس ؟

ـ قرات الاعلان فى التايمس يا سيدى

ـ وهل من عادتك ان تتبع آثار فريستك الى هذا المدى ؟

ـ لقد كانت سيدة لطيفة جدا يا سيدى . لقد سألتنى ذات مرة عن الطريق ، وهى لا تدرى شيئا عن سبب وجودى هناك . وفى حفلة الكوكتيل ناولتنى بيدهـا كأس الشرى . واسـلوبها فى السؤال والتلطف فى المنح أسلوب فريد ، أؤكد لك ان اللواتى يتمتعن

www.ibtesamh.com/vb

به لسن كثيرات . وحتى ابنى لا يكف عن التحدث معى عنها . لقد فتنت الصغير

ـ وكيف حاله ياباركيس ؟

ـ ليس على ما يرام يا سيدى ، آلام عنيفة جدا فى المعدة

ـ هل عرضته على طبيب ؟

ـ انى أومن بترك الطبيعة تأخذ مجراها

ونظرت حولى فى تلك الزمرالتى عرفت ساره ولم أعرفهم

ـ من هؤلاء يا باركيس ؟

ـ هذا السيد الذى يتخطى الزحام يا سيدى هو مدير المصلحة التى يتبعها مستر مايلز الآن ، واسمه دانستان

وكنت اظن ان غيرتي ماتت معها . بل ظننت انى حرى لو عادت الى الحياة ان اقبل المشاركة فيها مع كثرة من الرجال . ولكن منظر دانستان نبه فى نفسى بضع لحظات لواعج الكراهية القديمة . فقلت ، كأن ساره يمكن أن تسمعنى :

ـ سلفيا . هل عندك ما يشغلك الليلة ؟

ـ لقد وعدت ووتر بيورى ان اقضى الليلة . . .

ـ انسيه

وقلت فى نفسى لساره :

ـ انت هنا ؟ اترينني وتسمعينني ؟ انظرى كيف استطيع أن امضى فى حياتى بدونك . ليس الامر صعبا جدا

فان كراهيتى كان يسيرا عليها أن تعتقد ببقاء روحها بعدالموت كى تنتقم منها . وحبى وحده هو الذى كان يعلم انه لم يعدلها وجود اكثر من وجود طائر ميت !

وتجمعت جنازة كبيرة جديدة ، فنهضت المراة الراكعة داخل الكنيسة لتخرج . وقالت سلفيا انها لاتستطيع ان تعتذر لووتربيورى تليفونيا

اذن يجب أن امضى فى تصنع حركات الحب مع هذه الفتاة بلا حب مادمت قد تورطت . وشعرت بالاثم قبل أن اقترف الجرم، جرم التغرير ببريئة الى حبائلى . فانى اما ان املك اعصابى واتقن الدور فتتعلق بى . او تنهار اعصابى فيتحرك قلبها ويفيض حنانها على . هذا العاجز فتكون تلك هى الثغرة التى تسلل منها الحب الماكر

www.ibtesamh.com/vb

الى قلب الصغيرة . وتضرعت الى ساره ان تخرجنى من هذا المازق من أجل خاطر الفتاة لا من اجل خاطرى

واستطردت سلفيا :

ـ استطيع أن اقول ان امى مريضة

انها مستعدة منذ الآن أن تكذب لتقضى الليلة معى . راحت على ووتر بيورى منذ الآن !

وجعلت اتضرع الى ساره ان تنقذنى . فهذه الفتاة الصغيرة الناضرة تقف هناك ببنطلونها الوجودى الاسود والدلائل كلها تدل على أن مستقبلا طويل المدى يفتح ذراعيه لها من هذه النقطة فى اتجاه جديد . ولكنى لست قادرا على أن أبدأ من جديد وألحق بالمسكينة الاذى . لم تعد لدى قدرة على الحب الا ان يكون معك انت

وتقدمت المراة البيضاء الشعر التى كانت راكعة ، وقالت لى :

ـ أانت مستر بندركس ؟

ـ نعم

ـ ان ساره أخبرتنى انك كنت أعز اصدقائها ، طالما قالت لى ذلك

ـ كنت واحد منهم

ـ انا امها ...

ـ وكنت لا اذكر أنها قالت لى ان امها على قيد الحياة

ـ انك لم تكن تعلم عنى شيئا ؟

ـ الحقيقة ...

ـ هنرى كان لا يميل الى . ولهذا كنت أبتعد عنها باستمرار .

وكانت تتكلم باتزان ، مع ان الدموع كانت تنهمر من عينيها بصورة مستقلة

وكان الرجال وزوجاتهم قد انصرفوا جميعا . ولم يتخلف سوى باركيس الذى أحسبه خيل اليه انى قد ارغب فى المزيد من معلوماته. ولكنه وقف بعيدا

وقالت أم ساره :

ـ اريد أن اسالك معروفا كبيرا

ـ نعم يا مسز برترام

ـ لقد نسيت أن اغير موضع النقود من حقيبتى اليومية الى الحقيبة السوداء

www.ibtesamh.com/vb

ـ هل استطيع ان اؤدى لك اى خدمة ؟
ـ لو اقرضتنى جنيها يا مستر بندركس . فانا كما ترى لابد ان اتعشى فى المدينة قبل ان اسافر الى قريتى ، والمحلات هناك تغلق مبكرا
ومسحت عينيها وهى تتكلم فذكرنى فيها شىء بسارة . وقلت لها :
ـ تناولى معى عشاءا مبكرا
ـ لكنك لا تحب ان اثقل عليك بصحبتى
ـ انى كنت احب ساره
ـ وانا كذلك
وعدت بسرعة الى سلفيا وقلت لها :
ـ هذه امها . يجب على ان اصحبها للعشاء . انى آسف . فهل استطيع ان اطلبك بالتليفون لأطلب موعدا آخر
ـ طبعا
ـ هل اسمك فى دليل التليفون ؟
ـ فقالت بوجوم وهى مطرقة :
ـ اسم ووتر بيورى فى الدليل
ـ اذن ساكلمك فى الاسبوع القادم
سيسرنى هذا
ثم مدت يدها مودعة . ففطنت انها كانت تدرى ان اللحظة انقضت . وفاتها القطار . ولكن حمدت الله . فلن يؤذيها كثيرا شىء من الاسف والاستطلاع الى ان تصل محطة المترو .. ولن يؤثر هذا فيها بعد ذلك الا بأن تبدر من اعصابها كلمة ضيق الى ووتر بيورى اثناء الاستماع للبرنامج . او ربما وهما فى الفراش .
وعدت الى مسز برترام ، فوجدت نفسى احدثها عن ســـــاره
ها انت ترين انى احبك يا ساره
ولما اقتربنا من بوابة المحرقة ، لاحظت ان باركيس تسلل خارجا من غير ان اراه ، ولابد انه شعر اننى الآن لم اعد بحاجة اليه

▭

تناولت العشاء مع مسز برترام فى مطعم ايزولابلا . لأنى لم اشأ ان اذهب الى اى مكان ذهبت اليه مرة مع سارة . وبطبيعة الحال

www.ibtesamh.com/vb

شرعت على الفور أقارن هذا المطعم بالمطاعم الأخرى التى زرناها معا . ولم يحدث ان شربت مع ساره ابدا نبيذ كيانتى . فلما شربته مع امها تذكرت تلك الحقيقة ، ولا أحسبنى كنت أتذكرها أشد من ذلك لو شربت مع أمها نوع الكلاريت الذى كان مفضلا لدى ساره . فحتى الاماكن الخالية فى المطعم كانت تضج مزدحمة

وقالت مسز برترام :

ـ لم تعجبنى تلك الجنازة .. كانت بعيدة كل البعد عن الصفة الانسانية

ـ بدت لى مناسبة . وكانت هناك صلاة

ـ وهذا القسيس العجيب الذى تحدث عن الكل الاعظم كانت لهجته مضحكة . فأوشكت أن أضحك . ولمحنى هنرى . وادركت انه سجلها ضدى . انه وضيع . ومرة أردت ان اقترض منه عشرة جنيهات لأنى حضرت الى لندن لقضاء بضعة أيام ونسيت حقيبتى ، وذلك ممكن أن يحدث لاى شخص

ـ طبعا يمكن

ـ لم أكن أريد طبعا ان اضحك فما من أحد احب ساره أكثر منى . ولكن هنرى لا يمكن ان يفهم هذا فهو رجل بارد

فأردت ان اغير الموضوع وقلت لها :

ـ لا أدرى أى نوع من الجنازة غير هذا كان ممكنا

فرفعت كأسها وتجرعته بسرعة وقالت :

ـ كانت ساره كاثوليكية

ـ لا ادرى ذلك صحيحا ...

ـ بل كانت ، ولكنها لم تكن تعلم

ـ لا أفهم ماذا تعنين ؟

ـ ألم تخبرك ساره انى كنت كاثوليكية فى يوم من الايام ؟

ـ كلا ...

ـ لم أكن كاثوليكية جدا لأن اباها كان يكره المسألة كلها . وكنت زوجته الثالثة وكلما غضبت منه فى عامنا الاول كنت أقول له اننا لم نتزوج شرعيا

ـ كونك كاثوليكية لا يجعل ساره كاثوليكية .

www.ibtesamh.com/vb

ـ اتعدنى الا تخبر هنرى ؟

ـ أعدك ذلك . .

كنا فى الخارج نقضى اجازة فى نورماندیا بفرنسا وعمر ساره سنتين . وكان يتركنا زوجى ويذهب الى دوفيل . وعلمت انه يقابل زوجته الأولى هناك . فأخذت ساره معى ومشينا فى الرمل الى كنيسة منعزلة وتركت ساره على الباب ودخلت فقابلت القسيس . ورويت له جملة أكاذيب ألقيت بها المسئولية على زوجى . أكاذيب بيضاء طبعا . فقام على الفور بتعميد ساره عمادا كاثوليكيا ثم استبقانا للغداء . وبهذا أصبحت كاثوليكية وان كانت لا تدرى وكنت أتمنى لو دفنها هنرى دفنا لائقا

وسقطت دموعها مدرارا فى الطبق والكأس

ـ لا يمكن ان نلومه مادامت ساره نفسها لا تعلم

ـ مسكينة ساره . انى تعرضت للغواية كثيرا فى حياتى وكانت ساره فتاة طيبة صبورا جدا معى . انا التى جنيت عليها . فلو اننى لم اتزوج كل هذا العدد من الرجال الوضعاء لشبت ساره قديسة

وأحسست بالبرد فى ظهرى ، فتمنيت أن يكون بردا قاتلا كالذى قضى على ساره . وناديت الخادم ودفعت الحساب . ثم أقرضت مسز برترام المبلغ الذى رفعته بعد العشاء الى ثلاثة جنيهات . وتركت هذه الام التى علمت ساره عمليا أن رجلا واحدا لا يكفى المرأة مدى الحياة . . .

وطول الليل كنت أتقلب وأحلم أحلاما مزعجة ، كلها تدور حول الفشل . وفى الخامسة صباحا استيقظت وبى صداع شديد

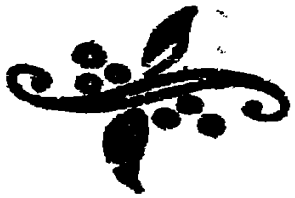

www.ibtesamh.com/vb

الفصل الخامس عشر

معجزات .. بعد الموت

كانت الفكرة التى خطرت لى ، ان هنرى ربما دعانى ، ما دام قد اتخذ هذا الاتجاه نحوى ، ان اشاركه بيته ، لان شركتنا فى سارة تقرب بيننا بما لا يحسه نحو انسان آخر من وجوه القرابة . فكانى افضل تعويض ممكن عن غيابها

والواقع انها كانت مزحة غريبة ساخرة من ذهنى . ولكن لم اكن اتوقع ان تصدر منه مثل هذه الدعوة . فلما فاتحنى فى ذلك عندما زارنى بعد اسبوع من الجنازةشعرت بدهشة لا انكرها

سمعت جرسى يدق ، فنظرت من النافذة ، لانى كنت لا اريد ان استقبل احدا . ولا سيما انى توقعت ان يكون الزائر المفاجىء هو ووتربيورى ومعه سلفيا . ولكن ضوء المصباح فى الشارع كشف لى عن قبعة هنرى السوداء ، فنزلت وفتحت الباب ، وقال لى كاذبا :

ـ كنت مارا من هنا

ووقف فى الحجرة مرتبكا وانا اخرج الشراب من دولابى ، ثم قال :

ـ انك تبدو مهتما بالجنرال غوردون

ـ لقد طلبوا منى ان اكتب ترجمة حياته

ـ وهل ستكتبها ؟

ـ اظن هذا ، فانا لا اشعر بميل لعملى الخاص الآن

ـ وكذلك انا

ـ واللجنة الوزارية ؟

ـ انها تشغلنى الى ان نتوقف كى نتناول الغذاء . وعندئذ ..

www.ibtesamh.com/vb

وناولته كأسه وجلسنا صامتين برهة ، ثم قال فجأة :

ـ ان البيت يبدو غريبا جدا هذه الايام . ولهذا احاول ان اظل بعيدا عنه قدر الامكان واظنك لا تمانع فى العشاء معى ؟

ـ عندى عمل كثير اود انجازه

ـ ان المكان هنا لا يتسع لكتبك

ـ كلا . ولهذا احتفظ ببعضها تحت الفراش

ـ اما فى بيتى فهناك متسع . ويمكن ان تستقل بطابق كامل . فكر فى الامر . فلا يجب ان تقطع الآن برأى

ـ هذا كرم عظيم منك يا هنرى

ـ انك تسدى الى بهذا معروفا يا بندركس فقلت فى نفسى ولم لا ؟ وهل المفروض ان اكون انا الكاتب اشد تمسكا بالمظاهر والتقاليد من الموظف ؟ وسمعته يستطرد :

ـ حلمت بالامس بنا جميعا . نحن الثلاثة كنا معا سعداء نحتسى كؤوسنا . فلما استيقظت ظننتها لم تمت . وكم احب ان تقيم معى يا بندركس . ولا اظن انك تشعر ببقية من الحقد على ؟

ـ كنت انا المخطىء يا هنرى بخصوص ذلك الرجل الذى اطلقته وراءها . فلم يكن «س» المزعوم الا مفكرا متعصبا له وحمة حمراء كبيرة على خده

ـ كانت سارة طيبة القلب . ان الناس يلغطون يا بندركس ، ولكنها فى الحقيقة كانت طيبة . فليس الذنب ذنبها ، اننى لم استطع ان احبها كما ينبغى . فانا كما تعلم شديد الحذر والتحفظ . فليس معدنى معدن العاشقين ولهذا كانت بحاجة الى رجل من طرازك

ـ ولكنها تركتنى وسارت فى طريقها

ـ اتدرى يا بندركس ان البيت لا يبدو خاليا بعد وفاتها ؟ انى اشعر بها مقيمة معى . بل كان البيت يبدو اشد اقفارا حينما كانت على قيد الحياة وكنت اعود فلا اجدها وانادى فلا تجيبنى فكنت احس ان كل شىء قد فارق البيت حتى الاثاث . كنت احبها يابندركس على طريقتى . وكنت اشفق كلما عدت ولم اجدها ان اجد خطابا منها فى انتظارى . اما الآن فالبيت لا يبدو خاليا على هذا النحو . وانى لاعجب كيف انها وقد خرجت الى الابد ، صارت موجودة باستمرار . ويبدو ان هذا راجع الى علمى انها ليست فى

www.ibtesamh.com/vb

مكان آخر مع انسان آخر تتغدى معه او تشاهد السينما . فلا مكان لها الآن توجد فيه خارج البيت

ـ ولكن اين هو بيتها ؟

ـ عفوك يا بندركس . فانى اشعر باعياء عصبي ولا انام ما فيه الكفاية . واعذرنى اذا ثرثرت ، فانني اذ لا استطيع الكلام معها ، لا أجد أفضل من الكلام عنها ، ولا اجد من أتكلم معه عنها افضل منك

ـ انها كانت تعرف كثيرين غيرى . مالوك ودانستان . . .

ـ لا استطيع ان اتحدث عنها الى أحدهما ولا الى باركيس

ـ باركيس ؟ ومن الذى عرفك به ؟

ـ زارنى ، وقال انه حضر حفلة كوكتيل عندنا مرة ، ولا يستطيع ان ينسى كيف ناولته الكأس . وقال انها كانت لطيفة ايضا مع ابنه ؛ الله اعلم بأى مناسبة . وابنه الآن مريض . وجاء يطلب له بعض كتبها على سبيل التذكار . فوجدت فى دولابها بعض كتبها وهى طفلة . وعليها تخطيطات صبيانية بقلم رصاص . فوجدتها فرصة مواتية للتخلص من تلك الكتب

ـ انه هو الرجل الذى كان يراقبها

ـ وى ! لو اننى عرفت هذا . . .

ـ على رسلك ، ان باركيس انسان الى حد كبير ، وسريع التأثر

ونظرت حولى فلم اجد فى الحجرة مايربطها بسارة اكثر من بيتها ، فقلت :

ـ ساذهب واقيم معك يا هنرى . على ان تخطرنى قبل ثلاثة اشهر من موعد زواجك الجديد ، لأبحث عن مسكن

فأخذ كلامى مأخذ الجد ، وقال :

ـ لن افعل هذا ، لا اصلح زوجا ، وقد أسأت الى سارة اساءة بالغة حين تزوجتها ، وقد ادركت هذا الآن

▭

وانتقلت بكتبى وملابسى على الفور الى بيت هنرى ، واعطانى حجرة الضيوف ، واعد لى حجرة اخرى للمكتب . وكان فى الطابق ايضا حمام . ثم تحول هنرى الى حجرة ثيابه . فوضع فيها سريرا له . وترك حجرتهما بسريرها المزدوج خالية لضيوف لايأتون ابدا .

www.ibtesamh.com/vb

وبدات افقه ما كان يعنيه هنرى بأن سارة كانت دائما هناك ، لا نراها ولـكننا نشعر انها موجودة

▭

وذات يوم تلقيت خطابا من باركيس ، يقول انه فضل الـكتابة الى على الـكتابة الى مايلز ، لانى اقرب الى فهم ما حدث . ان ابنه المريض الذى ساءت حاله واحضر له الطبيب اخيرا فتشكك فى شفائه ، كان يقرأ كتب سارة عندما كانت طفلة بشغف . وفى الليلة الماضية ظهرت له فى الحلم ولمست بيدها رأسه وبطنه . ولاول مرة استيقظ الغلام ليجد نفسه بغير آلام فى الرأس او المعدة ، واكد باركيس ان سارة فعلت المعجزة

ولم استطع ان اكتب بعدها . كان خيال سارة يقف بينى وبين السطور . وكان الرب الذى آمنت به ، احس به دائما يبتسم ابتسامة المنتصر . فخرجت اتمشى فى الحديقة العامة ، واتلهى بالاستماع الى خطبائها . وسرنى ان ارى واحدا منهم كان يطربنى كثيرا فيما مضى لم يكن صاحب رسـالة بل كان ممثلا قديما يشرب حتى ينتشى ، ثم يأتى ويؤدى الادوار التى يطلبهـا المسـتمعون من روايات شكسبير ارتجالا . ويطارح المستمعين الشعر والنكات

ودرت ببصرى بين زملائى المستمعين ، واذا بى أرى سمايذ . ربما كان هو الذى رآنى قبل ان اراه ، لان صفحة خده السليمة هى التى رأيتها تواجهنى . الصفحة التى لم تقبلها سارة ، ومع هذا كان يتحاشانى بنظراته . ولـكنى كنت اشعر دائما برغبة فى الحديث الى اى شخص عرفته سارة . فشققت طريقى الى جواره وناديته . وكان بيده منديل الصقه على خده الآخر الموصوم والتفت نحوى

ـ اهذا انت يا بندركس ؟

ـ انى لم ارك منذ الجنازة فى الحديقة

ـ كنت مسافرا

ـ هل تركت الخطابة هنا ضد الرب ؟

ـ تركت الخطابة وتركت الجلسات الخاصة فى الموضوع كله

ـ هل غيرت مذهبك اذن ؟

ـ انى لم اعد ادرى ماذا اعتقد

ـ لا تعتقد شيئا ، هذه هى الحقيقة باستمرار

www.ibtesamh.com/vb

ـ هذه « كانت » هى الحقيقة

ثم رأيته ينسحب من الزحام ويضغط بالمنديل على خده

ـ هل تشعر بألم فى اسنانك ؟

فلم يجبنى ، ولـكنه رفع المنديل عن خده فلم اجد اثرا للتشويه القديم . كان خده ناصعا الا من زرقة خفيفة لا تزيد على نصف الريال الفضى ، ونظر فى عينى وقال :

ـ هذا ما اخفيه . حتى اتجنب التفسير المحرج كلما قابلت احدا يعرفنى

ـ هل وجدت علاجا ؟ الهذا كنت مسافرا ؟

فظهر على وجهه الاضطراب، وقال بصورة غامضة ليقفل الموضوع :

ـ وسائل حديثة ، علاج كهربائى

وانصرف عنى ، فعدت الى البيت ، وحاولت ان اكتب . ولـكنى شعرت بارتياح عندما سمعت وقع خطوات هنرى عائدا من الخارج. وتوقعت ان يتادينى كعادته الجديدة ، لنذهب الى النادى ، ونتناول كأسا ، ولـكنه أبطأ ، فنزلت اليه ، ووجدته يحاول تبديل حذائه . ولكنه كالعادة لايحسن استعمال اصابعه ، فلم يستطع فك عقدة الحذاء ، وحاول ان يخلعه عنوة . فجلست على الارض وحللت له عقدة حذائه . فشعر بامتنان عميق ، ظهر فى صوته وهو يشكرنى ثم قال :

ـ حدث اليوم شىء مزعج . حضرت مسز برترام . وارادت بقصتها المعتادة ان تقترض منى عشرة جنيهات . وانا لست شحيحا، ولـكنى اغتاظ من طريقتها فى الابتزاز ، مع أن دخلها الخاص الفان من الجنيهات . وهذا يكاد يساوى دخلى

ـ وهل اعطيتها المبلغ ؟

ـ طبعا ، فانى اعطيها دائما ، ولـكنى لا اتمالك نفسى من القاء موعظة عليها ، فثار ثائرها واقسمت ان تكتب لى شيكا بالدين القديم والجديد . ثم اتهمتنى انى لم اهيىء لسارة الجنازة المناسبة ، واكدت لى انها كانت كاثوليكية

ـ سمعت منها هذه القصة ، وهى لا تقدم ولا تؤخر

ورن جرس التليفون فى الطابق العلوى ، فهتف هنرى :

www.ibtesamh.com/vb

ـ اراهن انها هذه المرة مرة اخرى
ـ دعها اذن ترن
وتوقف الجرس ، فسألته :
ـ وهل كتبت الشيك ؟
ـ هى تعلم انى اعلم ان شيكاتها بلا رصيد ، وقد بلغ ما اقترضته منى فى السنوات العشر الاخيرة اكثر من مائة جنيه
ـ تعال نخرج ونتناول كأسا
ـ طبعا ، ولكنى لم البس بعد الحذاء الآخر
ثم انحنى يلبس الحذاء ، فرأيت البقعة الصلعاء فى قمة راسه وكأن متاعبه الفكرية نفذت من رأسه خلال هذه الدائرة ، ثم قال :
ـ لست ادرى ماذا كنت اصنع لولاك يا بندركس ؟
فنفضت بيدى شيئا من الغبار كان على كتفه ، ولكن قبل ان نتحرك نحو باب الخروج ، رن الجرس من جديد ، فقلت له :
ـ دعه يرن ، ولنخرج
ـ بل الاوفق ان ارد
واتجه الى مكتبه ، ثم نادانى بارتياح ، وقال :
ـ انه لك انت
ـ انا بندركس ، من المتكلم ؟
فأجابنى صوت رجل يقول :
ـ شعرت ان من واجبى ان اطلبك يا مستر بندركس ، فانى لم اذكر لك الحقيقة هذا العصر
ـ من انت ؟
ـ ريتشارد سمايذ
ـ لا افهم ماذا تعنى ؟
ـ ذكرت لك انى ذهبت للعلاج فى مصحة بالخارج
ـ فعلا ، وهذا كله لايهمنى فى كثير
ـ بل يهم ، ان احدا لم يعالج وجهى بأى اداة ، بل انقشع كل شىء فجأة ذات ليلة
ـ كيف ؟ انى ما زلت ...
فقال بصوت يفيض بمعنى التواطؤ والمؤامرة .

www.ibtesamh.com/vb

ـ انا وانت نعلم كيف ، لا سبيل للتهرب من الحقيقة . ولم اكن على صواب فى كتمان هذه الحقيقة ، انها كانت ...

ووضعت المسماع قبل ان يستعمل تلك الكلمة السخيفة التى يستعملها البلهاء بدلا من كلمة المصادفة ، انها كلمة المعجزة البغيضة

ولبثت برهة احاول استجماع كل ايمانى بالمصادفة ، ولكن كل ما استطعت التفكير فيه هو الحسد ، الحسد لهذا الخد المشوه الذى مسته فى ساعة حنان فائق ورحمة خارقة بشفتيها ، والآن فعلت هاتان الشفتان فعلهما ، واستجيبت صلاتهما ، ونذرها المجنون

وسمعت هنرى يسألنى :

ـ من الذى كان يتكلم ؟

وترددت ، لانى اعرف انه سينساق فى التصديق

ـ سمايذ ، ذلك الشخص الذى كانت تزوره

ـ ماذا يريد ؟

ـ شفيت وحمة خده ، هذا كل ما هناك ، وكنت طلبت منه عنوان الاخصائى الذى عالجه لان لى صديقا ...

ـ اتعنى انهم كشطوا الجلد ؟

ـ لست متأكدا ، فقد سمعت ان هذه الوصمات لها اصل عصبى ، وتعالج حديثا على هذا الاساس ، بمزيج من العلاج النفسى والراديوم ...

وكنت مستريحا لهذا الذى قلته له ، لانه متى شاع الخبر ، فسوف يزدحم البيت بالحجاج للتبرك بآثارها وطلاب بقاياها ، فضلا عن المصورين والصحفيين . فمن الواجب ان نقضى على كل هذا من البداية ، ولا سيما ان هنرى ليس نكرة . وتذكرت يومياتها ، وخشيت ان تسرقها الخادم وتبيعها لسمايذ او غيره

ـ وماذا عن كأسنا يا بندركس ؟ الا نذهب ؟

ـ انتظرنى دقيقة واحدة

واسرعت الى حجرتى ، واخرجت مذكراتها ومزقت الغلاف الصلب ، وكان محشوا بقطن مندوف . وشعرت كأنى امزق اوصال طائر جريح . وبرزت الصفحة الاخيرة امام عينى ، وفيها هذه السطور وقد تضخمت بتأثير الجيشان

www.ibtesamh.com/vb

ـ ولكن ما اكرمك ! كلما سالتك مزيدا من الالم منحتنى سلاما وامنا ، اعطه يارب السلام والامن ، اعطهما اياه ، فان موريس احوج اليهما منى الآن

لقد اخطات فى هذا يا سارة ، اخفقت ، فها هى صلاة واحدة لك على الاقل لم يستجب لها ، لا سلام عندى ولا امن ، ولا حب عندى الا لك وحدك ، وفيما عدا هذا فانا رجل الكراهية

ولكن فى الحال احسست ان كلماتى ليست صادقة ، فلست اشعر فى الحقيقة بكثير من الكراهية الآن . ان ما اشعر به على الخصوص خوف اكثر من الكراهية ، فلو ان هذا الرب موجود ، وكنت انت يا سارة قد استطعت ان تتغيرى هكذا من النقيض الى النقيض بلمسة ايمان وحب لله ، فمعنى هذا اننا جميعا يمكن ان ننقلب قديسين ، ان قفزنا كما قفزت ، واغمضنا اعيننا لحظة ، ثم القينا بذواتنا مرة واحدة ، من غير تفكير ، الى هاوية ما وراء الواقع

لئن كنت الآن قديسة تشفى وتصنع المعجزات ، فليس عسيرا اذن ان يصبح المرء قديسا ... فى وسعه الآن ان يطلب من اى واحد منا ان يغمض عينيه ويلقى بنفسه اليه ، ولكنى لن افعل !

وجلست على سريرى ، وقلت للرب :

ـ انك حصلت عليها الآن ، ولكنك لم تحصل على بعد ، انى اعرف سعة حيلتك ، وكيف يشتد اغراؤك لنا ان ننسى انفسنا فيك. ولكن لا اريد سلامك ولا اريد حبك . كل ما اريده كان شيئا هينا جدا ، يسيرا جدا ، ولكنه كان وحده الذى اريده ، لا السلام ولا الامن ولا القداسة ولا الابدية . كنت اريد سارة مدى العمر ، مدى عمر بشرى قصير ، ولكنك اخذتها منى بعيدا ، لقد دمرت صرح سعادتنا الشامخ ، كما يدمر الحصاد وكر فأر صغير . انى اكرهك ، كما لو كنت موجودا ، ولكنى انكرك

ونظرت الى مجموعة الاوراق ، انها بقية منها ، اقل اتصالا بشخصها ، من خصلة الشعر التى لا اشك ان سمايذ وضعها على خده المشوه ، ونام وهو يفكر فيها ، فاستيقظ وخده نقى كاوراق الزئبق

انك تستطيع ان تلمس الشعر بشفتيك واصابعك ، اما الكتابة فلا

www.ibtesamh.com/vb

تلمسها الا بذهنك ، وانا متعب حتى الموت من الذهن ، لقد عشت لجسدها ، وجسدها هو الذى كنت اريد ، ولكن لم يعد لدى الا هذه المذكرات

كلا .. لن امزقها ، بل سأغلق عليها الدولاب ، فانى لا اريده ان يحرز النصر على فى هذا ايضا . اليس نصرا له ان يستحوذ ايضا على هذه البقية الضئيلة منها اذ امزقها ، ويتركنى هكذا مجردا من كل شىء يمت اليها ؟

وثبت الى نفسى ، فقلت متداعيا :

ـ ليكن ما اردته يا سارة ، انى اومن اخيرا انك باقية ، وانه موجود . ولكن صلواتك كلها لن تكفى لتحويل كرهى له الى محبة . لانه سرقك منى . لايمكن ان اشفى من حقدى ، كما شفى سمايذ من وصمته وكفره ، وكما شفى ابن باركيس من دائه ، فان الكراهية فى عقلى ، وليست فى معدتى ، ولا فى بشرتى . الم اكن اكرهك كما كنت احبك ؟ والست اكره نفسى ؟

وهبطت فمشيت بجانب هنرى نخترق الحديقة العامة الى النادى ، ومررنا بالعشاق يتقابلون حيث تخفت الاضواء ، ولمحت بيتى القديم حيث شاء ان يمنحنى بفضل صلاتها ونذرها حياتى هذه العرجاء اليائسة ، ولكن لن اعرف الحب الذى تعنيه سارة مهما عشت

وسمعت هنرى يقول بامتنان :

ـ انى اتطلع طول اليوم الى نزهتنا هكذا معا ، كم تؤنسنى !

فوضعت يدى على ذراع هنرى ، وسندته وهو يخطو ، وشعرت بنفسى استجمع قوتى ، لانى يجب الآن ان ارعى هنرى

▭

كنت قد كتبت فى بداية قصتى انها سجل للكراهية ، ولكنى شعرت وانا اسند هنرى بذراعى واسير بجواره ، ان هذه الحقيقة تتزعزع ، فقلت للرب :

ـ لقد فعلت بى ما فيه الكفاية يارب ، وسلبتنى ما فيه الكفاية يارب وانا الآن اشد اعياء وتقدما فى السن من ان اتعلم الحب منذ البداية . فلماذا تصر ان تسلبنى حتى كراهيتى ؟ لماذا لا تتركنى وشأنى الى النهاية ؟

www.ibtesamh.com/vb

الرواية القادمة

عنترة بن شداد

(الجزء الثانى)

تأليف

يوسف بن اسماعيل

من أدباء الدولة الفاطمية

تصدر فى ١٥ يوليه القادم

www.ibtesamh.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamh.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر يوليو ٢٠١٧

روايات الهلال

مجلة قصصية شهرية تصدر عن "دار الهلال"

بدأت حياتها فى يناير سنة ١٩٤٩ باصدار الروايات الخالدة التى وضعها المرحوم جرجى زيدان عن تاريخ الاسلام ولقيت فى عهده انتشاراً كبيراً . . .
ثم واصلت جهودها فى خدمة الأدب القصصى الرفيع بتقديم منتخبات من روائع القصص العالمى . . .

فهل تنقص مجموعتك احدى هذه الروايات . . ؟

روايات تاريخ الاسلام لجرجى زيدان

فتح الاندلس (نفدت)
وصف اسبانيا وفتح العرب لها

الحجاج بن يوسف (نفدت)
قصة مقتل عبدالله بن الزبير بعد حصار مكة

صلاح الدين ومكايد الحشاشين (نفدت)
قصة قيام الدولة الايوبية وحياة مؤسسها

شارل وعبد الرحمن (نفدت)
قصة فتوحات العرب فى فرنسا

شجرة الدر (نفدت)
قصة مبايعة أول ملكة فى الاسلام بمصر

أبو مسلم الخراسانى (نفدت)
قصة قيام الدولة العباسية فى بغداد

ارمانوسة المصرية (نفدت)
قصة فتح مصر على يد عمرو بن العاص

الامين والمأمون (نفدت)
قصة انتقال الخلافة من الامين لاخيه المأمون

عذراء قريش (نفدت)
قصة مقتل الخليفة عثمان بن عفان

العباسة اخت الرشيد (نفدت)
قصة نكبة البرامكة فى عهد الرشيد

١٧ رمضان (نفدت)
قصة مقتل الامام على وفتنة الخوارج

عروس فرغانة (نفدت)
قصة الدولة العباسية فى عهد المعتصم

غادة كربلاء (نفدت)
قصة مقتل الامام الحسين وآل البيت

احمد بن طولون (نفدت)
قصة استقلال مصر فى عهد أحمد بن طولون

www.ibtesamh.com/vb

عبد الرحمن الناصر (نفدت)
قصة العصر الذهبى للعرب فى الاندلس

فتاة القيروان (نفدت)
قصة فتح الفاطميين لمصر على يد القائد جوهر

فتاة غسان «جزءان» ـ (الاول نفد)
قصة ظهور الاسلام وفتوحاته الاولى

الانقلاب العثمانى
وصف لحالة تركيا فى عهد عبد الحميد

اسير المتمهدى
قصة ثورة عرابى بمصر والمهدى بالسودان

استبعاد المماليك (نفدت)
قصة الحرب بين روسيا وتركيا

المملوك الشارد (نفدت)
وصف مصر وسوريا فى القرن الماضى

جهاد المحبين (نفدت)
قصة انتصار الحب الصادق برغم كل العقبات

... ومن روائع القصص

غرام نابليون فى مصر (نفدت)
تأليف روجيه رجيس

غرام عطيل
تأليف اميل لودفيج

رسول القيصر
تأليف جول فيرن

غادة طيبة
تأليف اجاثا كريستى

روميو وجولييت
تأليف بول ريبو

غادة الكاميليا
تأليف مرسيل موريت

انا كارنينا
تأليف ليو تولستوى

الزنبقة السوداء
تأليف اسكندر دوماس الاب

اغلال الحب
تأليف سومرست موم

قلوب تحترق
تأليف ستيفان زفايج

ملاك الرعب
تأليف ادجار والاس

ذات الرداء الابيض (نفدت)
تأليف ويلكى كولنز

الكونت دى مونت كريستو
تأليف اسكندر دوماس الكبير

البعث
تأليف ليو تولستوى

ذو القناع الحديدى (جزءان)
ـ (الجزء الاول نفد)
تأليف اسكندر دوماس الكبير

www.ibtesamh.com/vb

ابنة البخيل
تأليف اونوريه دى بلزاك

ماساة مايرلنج
تأليف بول ريبو

الارض الطيبة
تأليف بيرل بك

فراميات راسبوتين
تأليف شارل بنى

جريمة فى الريف
تأليف اجاثا كريستى

مارى انطوانيت
تأليف ستيفان زفايج

الفارس الخامس
تأليف اسكندر دوماس الكبير

الاب الخالد
تأليف اونوريه دى بلزاك

مغامرات مستر بيكويك
تأليف شارل ديكنز

كاتالينا
تأليف سومرست موم

الفرسان الثلاثة (جزءان)
تأليف اسكندر دوماس الكبير

زهرة الحب
تأليف اونوريه دى بلزاك

الشقراء البريئة
تأليف ايرلى ستانلى جاردنر

شعب وطائفية
تأليف اسكندر دوماس الكبير

الغانية اللعوب
تأليف ايفان تورجنيف

صراع الحب
تأليف فيدور دستويفسكى

فى مهب الريح
تأليف لين يونج

اوليفر تويست
تأليف شارل ديكنز

الثورة الحمراء
تأليف اسكندر دوماس الكبير

جريمة فى وادى النيل
تأليف اجاثا كريستى

قلبان فى عاصفة
تأليف رفائيل سباتينى

أحدب نوتردام
تأليف فيكتور هيجو

الشبح الرهيب
تأليف اجاثا كريستى

الحب فى العذاب
تأليف ابيه بريفو

www.ibtesamh.com/vb

العاشق الفارس
تأليف اسكندر دوماس الكبير

البنفسجة الحسناء
تأليف اسكندر دوماس الكبير

العاشقة العذراء
تأليف ايفان تورجنيف

دافيد كوبرفيلد
تأليف شارل ديكنز

عاصفة وقلب
تأليف فيكتور هوجو

ذات الشعر الذهبي
تأليف سومرست موم

الوحش الرهيب
تأليف ادجار والاس

العاشق المجنون
تأليف اميل زولا

جوهرة القمر
تأليف ويلكي كولنز

السجين الهارب
تأليف ادجار والاس

غانية باريس
تأليف اميل زولا

جنون الحب
تأليف سومرست موم

الخيط الدموي
تأليف كونان دويل

صراع بين الاجيال
تأليف ايفان تورجنيف

الكلب الجهنمي
تأليف كونان دويل

المرابية العجوز
تأليف فيدور دستويفسكي

قلب محطم
تأليف جي دي موباسان

الافق الضائع
تأليف جيمس هيلتون

مرتفعات ويذرنج
تأليف اميلي برونتي

مغامرات شرلوك هولز
تأليف كونان دويل

الزوج الخالد
تأليف فيدور دستويفسكي

الارض العذراء
تأليف ايفان تورجنيف

رجال الله
تأليف بيرل بك

مذكرات شرلوك هولز
تأليف كونان دويل

www.ibtesamh.com/vb

قلب المراة
تأليف سومرست موم

امراة فى الثلاثين
تأليف اونوريه دى بلزاك

الكنز المفقود
تأليف كونان دويل

ابن مصر
تأليف جيمس بسبى الصغير

اعلان عن جريمة
تأليف اجاثا كريستى

الحب العظيم
تأليف ايفان تورجنيف

الكاس الاخيرة
تأليف اجاثا كريستى

وادى الرعب
تأليف كونان دويل

بنت مصر
تأليف مارجرى لورنس

ابنة القائد
تأليف اسكندر بوشكين

الحرب والسلام
تأليف ليوتولستوى

عنترة بن شداد
تأليف يوسف بن اسماعيل

ويمكنك الحصول على ما ينقص مجموعتك من هذه الروايات من قسم الاشتراكات بدار الهلال شارع محمد بك عز العرب (المبتديان) بالقاهرة (وثمن الرواية ٧٠ مليما بخلاف مصاريف البريد) وشركة الصحافة المصرية بشارع النبى دانيال بالاسكندرية ومن شركة الصحافة المصرية بميدان المحطة بطنطا ، ومن السيد محمود حلمى صاحب المكتبة العصرية شارع المتنبى ببغداد ، ومن شركة فرج الله للمطبوعات بشارع بيكو طريق المالكى ببيروت ، ومن المكتب العام لتوزيع المطبوعات لصاحبه السيد على نظام ببناية العابد بدمشق

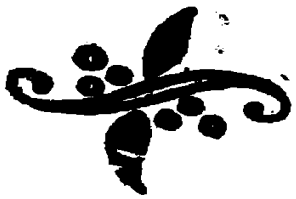

www.ibtesamh.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamh.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر يوليو ٢٠١٧

رسالة دار الهلال

لدار الهلال غاية تسعى إليها ، كما أن لها خطة مرسومة تسير عليها . فأما الغاية فالمساهمة فى رفع المستوى الثقافى فى مصر والأقطار العربيـة . وأما الخطة فالتوفيق بين قديمنا وحديثنا ، والجمع بين محاسن الشرق ومحاسن الغرب: فلا جمود ولا طفرة ، بل هو تمش وئيد فى سبيل الرقى الوطيد

ودار الهلال تؤدى واجبها بهدوء وعزيمة معاً ، مطمئنة الى ما قد أنتجت ، متطلعة الى اتقان ما تنتج ، لا تداهن فريقاً ولا تتملق كبيراً ، ولا تتساهل قيد شعرة فيما تعتقده حقاً وصواباً

ودار الهلال تؤمن ببقاء العمل الصالح ، واخفاق ما عداه . وهى لذلك لا تحفل بالسفاسف والصغائر ، بل ترحب بكل فكرة نزيهة وتعضد كل جهد شريف

وشعارها على الدوام : الى الامام !

www.ibtesamh.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamh.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر يوليو ٢٠١٧

اشترك فى روايات الهلال

(أسعار الاشتراك على الصفحة الثانية من الغلاف)

وكلاء روايات الهلال

سوريا ولبنان : شركة فرج الله للمطبـــوعات ـ مركزها الرئيسى بطريق الملـكى المتفـرع من شارع بيكو فى بيروت صـــــندوق بريد ١٠١٢

العـــراق : السيد محمود حلمى ـ المكتبة العصرية ـ بغداد

اللاذقيـــــة : السيد نخله سكاف

جـــــــده : السيدهاشم بن السيدعلى نحاس ـ ص.ب٤٩٣

البحـــــرين : السيد مؤيد احمد المؤيد . مكتبة المؤيد

البـــــرازيل : Dr. Michel H. Thomé, Pateo Do Colegio, Nº 3, 3º Andar, Sala 9, Sao Paulo, Brasil.

www.ibtesamh.com/vb

الوصول إلى الحقيقة يتطلب إزالة العوائق
التي تعترض المعرفة ، ومن أهم هذه العوائق
رواسب الجهل وسيطرة العادة ، والتبجيل المفرط لمفكري الماضي
إن الأفكار الصحيحة يجب أن تثبت بالتجربة

حصريات مجلة الابتسامة

** شهر يوليو 2017 **

www.ibtesamh.com/vb

التعليم ليس استعداداً للحياة ، إنه الحياة ذاتها
جون ديوي
فيلسوف وعالم نفس أمريكي

www.ibtesamh.com/vb

روايات الهلال
مجلة شهرية لنشر القصص العالمى

مجلة الابتسامة
** معرفتي **
www.ibtesamh.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

المؤلف

— اشتهر جراهام جرين بقصصه القصيرة التى ظهرت أولى مجموعاتها عام ١٩٣٦ بعنوان « حجرة البدروم »

— وقد تهافتت على رواياته الفذة الشركات السينمائية فاخرجت روايته العظيمة « الرجل الثالث »

— اصبح جراهام جرين بعد وضع قصتيه « الرجل الثالث » و « نهاية غرام » يعتبر من أبرع الروائيين

— ويمتاز جراهام جرين فى قصصه بالفن الواقعى ، والتصوير الصادق ، فى غير اثارة أو تنميق .

— وهو الى جانب هذه الناحية الفنية أمين لروح هذا العصر يصور ابناء القرن العشرين فى صدق واخلاص

هذه الرواية

هذه الرواية درة من أنفس درر الادب العالمى المعاصر ، هى سجل ارتقاء نفس معذبة ، من هاوية الفساد ، الى قمة الايمان بالله والفناء فى حبه

هى قصة « ساره » ، وكيف تقلبت فى الاثم ، ثم وقفت فى أشد لحظات حياتها رهبة ، أمام القدر فاذا بها تختار الله ، وتنبذ الدنيا ...

ومن أجل هذه اللحظة الواحدة من الاخلاص ، تقبل الله منها ، وبسط لها رحاب الامن ،والسكينة

ولكن التى وجدت من الله الرحمة وحسن القبول ، لم تجد ممن أحبوها قبولا ، أو فهما ، أو تقديرا ، أو ثقة . رجموها بظنونهم . وحصبوها بكراهيتهم،وطاردوها وعذبوها برغباتهم والحاحهم. وقلبها الرقيق يتنزى ، ويتألم . والداء ينهش جسدها ، وهى لا تبالى . لاتفكر الا فى ألمهم .

ولا تجد فسحة من الوقت للتفكير فى نفسها

هى قصة امرأة انقلبت قديسة ، بعد أن كانت آثمة ... ثم بدأت بذرة ايمانها تنمو بعد موتها .

انها سلسلة من المعارك بين الحب فى صورته الحسية ، والحب فى صورته الروحانية ... بين الرغبات ، والعقل ، والضمير ، والقدر ، والايمان ، والانكار ، والكراهية ،والرحمة، والانانية ، والبر ،.. فى واقعية تهز أعماق النفس ، وتبرز روح عصرنا ، فى روعة الصدق النادرة ...

** معرفتي **
www.ibtesamh.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

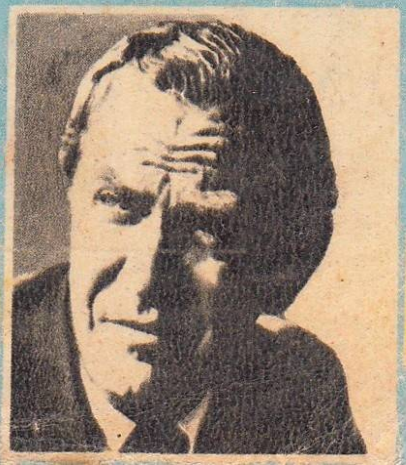

نهاية غرام

www.ibtesamh.com/vb

www.ibtesamh.com/vb